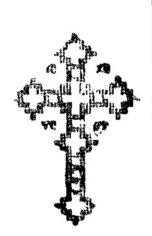
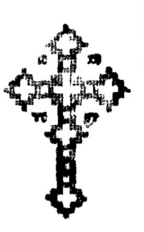


إشـــعياء



الكتاب الثامن

الاصحاحات من ٥٤ – ٥٩



القمص لوقا سيداروس

إشعياء

الكتاب الثامن

الاصحاحات من ٥٤ - ٥٩

القمص لوقا سيداروس



قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث

اشعياء ٥٤

* ثمار الصليب .

١ – ترنمى أيتها العاقر التى لم تلد أشيدى بالترنم أيتها التى لم تمخض لأن بنى المستوحشة أكثر من بنى ذات البعل قال الرب .

٢ – أوسعى مكان خيمتك ولتبسط شقق مساكنك ، لا تمسكى أطيلى أطنابك وشددى أوتادك .

٣– لأنك تمتدين إلى اليمين وإلى اليسار ويرث نسلك أممًا ويعمر مدنًا خربة .

٤– لا تخافى لأنك لا تخزين ولا تخجلى لأنك لا تستحين . فإنك تنسين خزى صباك وعار ترملك لا تذكرينه بعد .

كانت الآية السابقة تقول عن المسيح إنه سكب للموت نفسه وأحصى مع أثمة وهو حمل خطية كثيرين وشفع فى المذنبين ، ثم يستطرد الروح قائلاً ترنمى أيتها العاقر ... كيف انقلب الحزن إلى فرح ؟

هكذا صارت آلام المسيح ينبوع الفرح والترنّم والتسبيح فى السماء وعلى الأرض ، إن السمائيين يسبحون ويمجدون المسيح . قائلين « لأنك اشتريتنا بدمك » .

إذن من جراحات المخلص نبع الفرح الأبدى .

ثمار الصليب .

والروح هنا ينادى كنيسة الأمم المحسوبة مستوحشة لم تقترن بزوج ، بينما كنيسة اليهود اقترن بها الرب ولكنها لم تنجب أولاداً بل كانت كعاقر ، وهما فى المسيح صارا كنيسة واحدة متحدة بالمسيح مثمرة ومخصبة . أخصبها الروح فأنجبت أولاداً لله بلا عدد ، والمسيح العريس هو للأمم كما لليهود أيضاً ... هو مسيح العالم كله لا فرق بين بربرى وسكيثى ، عبد وحر، ليس يهودى وأممى .

وحينما مات الرب بالصليب ، وقعت حبة الحنطة وماتت فأتت بثمر كثير ، الكثرة الأولى كانت نسل الجسد ، أما بنو الملكوت فهم ليسوا مولودين من جسد ولا من هوى رجلٍ بل من الله .

أولاً : الفرح :

الثمرة الأولى لصليب المسيح هى الفرح ... ترنمى ... أشيدى بالترنم أى ترنمى واكرزى بالفرح وبثّى روح الفرح والترنم والتسبيح لأن الخليقة الجديدة جبلت للتسبيح الروحانى .

هو فرح العاقر إذا أنجبت أولاداً ؟ فهل يستطيع أحد أن يعبر عنه ؟

ففي كل مرة تلد الكنيسة بنين لله يتفجر الفرح فيها وتشدو بتسابيح الحمد والسرور .

– تأمل حال الكنيسة فى أيامها الأولى حين كانت تمخض بأمم وتلد شعوب وينضم للرب كل يوم ألوف من البشر ، كيف كان الفرح شائعًا وشاملاً حتى الطعام المادى كانوا يأكلونه بابتهاج وبساطة قلب ..

– هذا الفرح يلازم الكنيسة فى أجيالها إلى مجئ الرب ، فالحزن والتنهد هرب منها ... وكلما ولدت للرب بنين من جرن معموديتها الذى هو رحم الكنيسة الذى لا يشيخ ... كلما ابتهجت بولادة البنين وسبَّحَت الذى جعلها أماً ولود .

ثانيًا : الاتساع :

– أوسعى مكان خيمتك ولتبسط شقق مساكنك .

كانت خيمة الاجتماع في القديم محدودة بحدود وقياسات لا تستطيع أن تتعداها فكانت الدار الداخلية مقصورة على اليهود ..

أما الكنيسة الجديدة فهى بلا حدود ، كائنة من أقاصى

المسكونة إلى أقاصيها ، لذلك يناديها الروح أوسعي مكان خيمتك ولتبسط شقق مساكنك لأنها ستمتد إلى اليمين وإلى اليسار وإلى المشارق والمغارب معاً .

ستمتد حتى تغطى الأرض كلها كحبة الخردل متى نمت صارت شجرة كبيرة تأوى إليها طيور السماء .

لا تمسكى أطيلى أطنابك وشددى أوتادك هكذا يقول الروح .

الأطناب هى حبال الخيام ، والأوتاد هى ما تثبت به ، فأطنابها وحبالها وأوتادها تثبت إلى الأبد فلا تتزعزع أبداً .

هى خيمة ولكن لا حدود لاتساعها .

وهى خيمة ولكن ثباتها ثبات الله وثبات مواعيد الله ، امتدت فاحتضنت الأرض كلها وثبتت أوتادها وأبواب الجحيم لن تقوى عليها .

ثالثاً : السلام :

لا تخافى ولا تخجلى .

المسيح أعطى كنيسته السلام بالصليب ، إذ قتل العداوة به وصالح السمائين مع الأرضيين ، فصار هو سلامنا ، وإذ قتل الموت بموته هرب الخوف فقال للرسل

سلامى أعطيكم ، .. فلا خوف . بل المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج . ولا خجل ، أيها الأولاد اثبتوا فيه حتى متى أظهر يكون لها ثقة ولا نخجل منه فى مجيئه .

رابعًا : الغفران

تنسين خزى صبالك ، وعار ترملك لا تذكرينه .

لقد محا كفيمة خطايانا ، وصفح عن أزمنة الجهل ، وطرح خطايانا فى بحر النسيان وستر عارنا بالصليب .

وها الروح يقول للكنيسة إذ تقدست بدم عريسها ... أنها تنسى الخزى والعار الذى سببته لها الخطايا السالفة .

هذا هو ميراث أولاد الله كثمرة للصليب والفداء .

✥ قصة حب مقدس :

٥- لأن بعلك هو صانعك رب الجنود اسمه ووليك قدوس اسرائيل اله كل الأرض يدعى .

٦- لأنه كامرأة مهجورة ومحزونة الروح دعاك الرب وكزوجة الصبا إذا رُذِلت قال إلهك .

هنا يتقابل الضدان ويتلاقى النقيضان .

الله القدوس ، رب الجنود ، قدوس اسرائيل إله كل

الأرض مع امرأة مهجورة ومحزونة الروح ، وزوجة الصبا المرذولة !! هذه مفارقة عجيبة ، تحوى كل سرائر الايمان المسيحى . إن الله غير المرئى غير المحوى غير المفحوص غير المتحوّل فى طبيعته القدوسة وغير محدودية صلاحه ، اقترن بطبيعتنا المائتة الساقطة الترابية الضعيفة كاقتران العريس بالعروس من جهته كل الكمالات الالهية ، ومن جهتنا كل الضعف والحقارة .

وهكذا أخذ الذى لنا وأعطانا الذى له نسبحه ونمجده ونزيده علواً ... كقول التسبحة .

فإن نظرت الكنيسة – أو النفس البشرية بصفة خاصة – إلى أية استحقاقات أو أى فضيلة ، أو ماذا وجد الله فيها من فضل ؟ هنا يظهر عجز الانسان المطلق وما وصف به الروح حالنا كامرأةٍ مهجورة ومحزونة الروح ومرذولة ، فهو أصدق تعبير الهى .

وهنا أيضاً يظهر لطف الله الحانى نحو جبلتنا ، ويظهر مقدار الحب الخلاصى وجود الله وإحسانه الذى لا يعبر عنه .

فمن يرق لخليقة ساقطة هكذا ؟ ومن يرثى لحال امرأة كهذه ؟

إن الخطية والفساد طرحت البشرية فى البؤس والشقاء والمذلة والرذيلة .

فما أعجب نعمة المسيح التى افتقدنا بها المشرق من العلاء ، أعاد المهجورة إلى فردوس الحياة والمرذولة إلى أحضان حبه ، ومحزونة الروح إلى البهجة والفرح الدائم . إنها قيامة من الأموات ليس إلا . هذه قصة الكنيسة وقصة كل نفس اختبرت التوبة والرجوع إلى حضن الله .

✣ سخاء الحب ...

٧- لحيظة تركتك و بمراحم عظيمة سأجمعك .

٨- بفيضان الغضب حجبت وجهى عنك لحظة وبإحسان أبدى أرحمك قال وليك الرب .

الترك ، والغضب ، وحجب الوجه ، كلها أفعال سالبيه ، تسببت فيها الخطية والتعدى الذى سقط فيه الانسان بإرادته ، كمن يترك النور فيجد نفسه محاطاً بالظلمة ملفوفاً بالخوف .

ولكن من ناحية الله فإن خيريته وصلاحه يغطى بما لا يقاس كل السلبيات ويمحوها ، فهو يبحث عن الضال حتى يجده ومتى وجده يرده إلى رتبته الأولى ، ويطلب المطرود ويشفى السقيم ويقيم من الأموات ، فهل للموت ذكر بعد ذلك ! ؟

هكذا صار فينا كقول الرب .

ماذا يحسب زمان الخطايا الذى تركنا فيه الرب وملنا كل واحد إلى طريقه ؟

أنه فى نظر الله يكون لحيظة .

وماذا يحسب زمن الرجوع والتوبة والمراحم ؟

أنه زمن الأبد بلا نهاية .

سلطان الخطية إلى ساعة أما سلطان الرحمة فإلى قيام الساعة .

وفى سخاء النعمة تنسى كل آثار الخطية وأيامها المشئومة ونتائجها المميتة .

عندما يرد سبي صهيون - يجمعها بمراحم عظيمة ، من أقاصى الأماكن التى سبيت إليها ومن أماكن البكاء وكور الخنازير .

الخطايا استوجبت غضب الله . « غضب الله المعلن من السماء على جميع فجور الناس » .

وكان طوفان الغضب كالفيضان فى أيام نوح .

ولكن لما كمل زمان الخطايا وجاء ملء الزمان أشرقت الرحمة بإحسان أبدى فأزالت العداوة ورفعت الحاجز .

✣اعتبار :

لما حمل المسيح حمل الله خطايا العالم ... وصار خطية لأجلنا ، حجب الآب وجهه ، فصرخ وهو حامل طبيعتنا يقول بلساننا إلى أبيه قول المزمور « إلهى إلهى لماذا تركتنى » .

كان هذا لحظة من الزمان ، وما أن مات الابن بالصليب وردنا من التدبير الشمالى إلى اليمين ، حتى شملتنا مراحم الآب الأبدية وصرنا ناظرين إلى الرب بوجه مكشوف فى يقين الرؤيا ، وصار لنا بالمسيح دالة وجسارة نتقدم به إلى الآب كل حين فنجد رحمة عوناً فى حينه ...

لا رجوع عن عهود الحب !!

٩- لأنه كمياه نوح هذه لى كما حلفت أن لا تعبر بعد مياه نوح على الأرض هكذا حلفت أن لا أغضب عليك ولا أزجرك .

لك أن تتعجب من هذا الوعد الإلهى أيما عجب !!

نحن نقرأ فى سفر التكوين من جهة الطوفان « **وقال الرب فى قلبه لا أعود ألعن الأرض أيضاً** » ، وقال أيضاً لنوح وبنيه « **ها أنا مقيم ميثاقى معكم ومع نسلكم ... أقيم ميثاقى معكم فلا ينقرض كل ذى جسد أيضاً بمياه الطوفان** » .

ظهر غضب الله على الخطايا عندما تعاظمت مياه الطوفان فأهلكت الخطاة وأغرقت كل أفعال الشر والفجور ... الخطايا والخطاة معًا ، وإذ أنقذت نفوس قليلة محسوبة للنجاة والخلاص وعدها الله بأن لا يكون طوفان كهذا فيما بعد ...

فإن كان هكذا ميراث المفديين ظهر في رمز الطوفان والفلك ، فهنا الروح ينتقل بنا من الظل إلى الحقيقة والميراث الذى لنا فى المسيح ... إنه لا مكان للغضب فيما بعد ... ألسنا نعيش في عهد النعمة والرضى والمصالحة والسلام ؟

لا أغضب عليك ولا أزجرك .

صارت الكنيسة جسده ، وصرنا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه .

وليس أحد قط يبغض جسده بل يقوته ويربيه كما الرب أيضاً للكنيسة ، لقد هرب الغضب والزجر وصرنا فى ملكوت المحبة .

كان الغضب بسبب الخطايا وهو حمل عنا عار الخطايا وعقابها .

وحول لنا العقوبة خلاصاً .

فمن يحيا فى المسيح يتمتع بهذا الوعد العجيب فلا يتعرض لغضب الله على الإطلاق .

إن غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس .

أما أولاد الله فتحيط بهم المراحم الأبدية .

سلام الله يفوق العقل ...

١٠ - فإن الجبال تزول والآكام تتزعزع أما إحسانى فلا يزول عنك وعهد سلامى لا يتزعزع قال راحمك الرب .

لو زالت الجبال وتزعزعت الآكام ، لا يزول إحسان المسيح لكنيسته ومحبيه وعهد سلامه الإلهى لا يتزعزع ..

محبة أبدية أحببتك لذلك أدمت لك الرحمة !!

فهو أحببنا إلى المنتهى فماذا بعد ؟

المحبة عند المسيح بلا رجعة ومواعيده بلا ندامة !

هل بعد الصليب وسفك الدم لأجلنا ، والعهد الجديد بدمه ... هل ينقض هذا العهد ؟

ياليت نفوسنا تدرك كم أحبنا ، فننذهل من فرط الحب ونحيا وندرك الذى من أجله أدركنا المسيح .

وإن كان عهد سلام المسيح صار هكذا ثابتًا فلماذا

ننزعج ولماذا تضطرب القلوب ؟

سلامى أترك لكم سلامى أعطيكم ... لا تضطرب قلوبكم ، ما أعظم جودك يا ربنا الذى ادخرته لمختاريك !

تدخَل إلهى عجيب فى الضيقة ...

١١- أيتها الذليلة المضطربة غير المتعزية هانذا أبنى بالأثمد حجارتك وبالياقوت الأزرق أؤسسك .

١٢- وأجعل شرفك حجارة بهرمانية وكل تخومك حجارة كريمة .

١٣- وكل بنيك تلاميذ الرب وسلام بنيك كثيراً .

ولكن أن تلاقى كنيسة المسيح ضيقًا واضطهاداً واضطراباً والآم وأوجاع حتى الموت فهذا وارد فى صميم رحلتها فى هذا العالم ، وقد تضطرب لذلك عندما تحيطها الأنواء وتحاصرها رياح التجارب لذلك يناديها الرب قائلاً :

أيتها الذليلة المضطربة غير المتعزية .

وهوُ يناديها من وسط الضيقة لتلفت إليه .

هو يأتيها كما أتى فى الهزيع الرابع لسفينة التلاميذ وهى معذبة أو كما أيقظوه وهو كان فى مؤخر السفينة على وسادة نائمًا وحينئذ يغير الأحوال ويهدئ الرّيح

ويبدل الاضطراب سلاماً ويخرج من الآكل أكلاً .

أيتها الذليلة من كثرة الآلام ... أنظرى إلى عريسك الذى ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه ... فصنع خلاصًا أبدياً .

الهوان لأجله يتبدل إلى مجد .

الحزن يتحول إلى فرح .

الموت والاستشهاد يُبتلع إلى قيامة .

الاضطراب يعقبه فى المسيح سلام أبدى وهدوء عظيم .

✣ ثم أنظر إلى هذه الذليلة المضطربة غير المتعزية ماذا قال لها الرب :

هانذا أبنى بالأثمد حجارتك وبالياقوت الأزرق أؤسسك وأجعل شرفك حجارة بهرمانية وكل تخومك حجارة كريمة . الأنواء تحيط بها ولكنها مبنية مؤسسة على صخر الدهور تهب الرياح تسقط الأمطار - تصدمها فتسكن الرياح ، الأمواج تلاطمها وتنكسر عند قدميها فاقدة قدرتها .

✣ روعة الأساس :

الكنيسة مبنية حجارة كريمة ... حجارة حية كقول

القديس بطرس بيتاً روحيًا .. ولك أن تتأمل بهاء المسيح فيها لأنه هو بانى الكل .

اساسات الكنيسة ياقوت أزرق ... أساسات سماوية هذه النفوس المدفونة مع المسيح ... والمختفية فى أعماق لا يراها ولا يدرك سرها أحد سوى المسيح .

فإن كانت الأساسات تلاصق صخر الدهور فهذا هو سر القديسين .

وفى المدينة السماوية اكتشف الرائى أن سور المدينة كان له اثنا عشر أساسًا كتب عليها أسماء رسل الخروف الاثنى عشر !!

فنحن مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية .

✥ ثبات البناء ...

تأمل القديس بولس وضع أساساً وآخر يبنى عليه ولكن لينظر كيف يبنى .. قشاً عشباً أو ذهباً أو حجارة كريمة لأن النار ستمتحن عمل كل واحد ... ان احترق عمل أحد الذى بناه فسيخسر !!

بانى الكل هو الله .

وهنا هو يبنى حجارة كريمة ، مكرمة من الله نفسه وقياسها يتناغم ويتوافق مع حجر الزاوية المرفوض من البنائين الأردياء ولكن مختارمن الله وكريم .

لنجتهد يا أخى أن نكون حجارة حية ... حجارة كريمة ليتنا نقيس أنفسنا كل يوم هل نحن نسلك فى آثار خطواته متشبهين به ... نسعى إلى قامة مِلء المسيح ؟

هنا يصدق قول الروح ... كل تخومك حجارة كريمة ... كل بنيك تلاميذ الرب وسلام بنيك كثير .

١٤- بالبر تثبتين بعيدة عن الظلم فلا تخافين وعن الارتعاب فلا يدنو منك .

١٥- ها إنهم يجتمعون اجتماعًا ليس من عندى . من اجتمع عليك فإليك يسقط .

١٦- هانذا خلقت الحداد الذى ينفخ الفحم فى النار ويخرج آلة لعمله وأنا خلقت المهلك ليخرب .

لا خوف فى المحبة ..

بر المسيح غطى الكنيسة - ستراً للخطايا وغفراناً للذنوب فثبات الكنيسة يكون بحياة البر فى المسيح ، الالتصاق به والاحتماء فيه - فتتغطى العيوب وتستر الآثام وحينما تحيا الكنيسة - أو النفس - هكذا فلا عقاب ولا

خوف ولا رعب ... لأن الخوف هو الثمرة الأولى للخطية... كما نعرف من قصة السقوط الأولى .

فإن احتمت الكنيسة ببر المسيح صارت بعيدة عن الظلم والظلام وهرب منها الخوف والارتعاب .

وها المسيح صار لنا براً وخلاصًا ونعمة وغفراناً للخطايا وما علينا سوى أن نحتمى فيه فلا يهيج العدو علينا .

ولكن هل تصمت قوى الشر وهل يسكت الأشرار عن محاربتهم ومشاغبتهم واضطهادهم ؟

أبداً لم يهدأ الشيطان حتى بعد أن سحقه الرب بالصليب ، فما زال يقاوم سبل الله المستقيمة - مشتكياً على أولاد الله ، ألم يقل الكتاب : **للرب حرب مع عماليق من دور فدور** ؛ حتى بعد أن انتهت الحرب مع عماليق فى أيام موسى ؟

فالشيطان إذ يرى الكنيسة مكتسية ببر المسيح محتمية بالصليب ، يجول كأسد زائر ينفث تهدداً وقتلاً ويقيم الحروب والاضطهادات حاشداً كل أعوانه وجنوده الشريرة - اسمع قول الوحى الالهى .

ها أنهم يجتمعون اجتماعًا ليس من عندى .. من اجتمع عليك فإليك يسقط .

لكن لماذا الاجتماع كأنه من كثيرين ؟

أنه شيطان مغلوب ... شاعر بالانكسار والضعف يجند قواته ويحشد أعوانه مجتمعين .

ولكن قد يغلبهم انسان واحد معه قوة ربنا يسوع المسيح . مثل القديس أنطونيوس الذى كان يقول لهم ... لماذا كل هذا إن واحداً منكم يكفى لغلبتى . وكانوا يتبخرون كالدخان ، وكان يقول يقوم الله ويتبدد جميع أعدائه .

هكذا صار على مدى تاريخ الكنيسة فى كل أجيالها ... قامت ملوك الأرض واجتمع الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه ... الساكن فى السموات يضحك بهم والرب يمقتهم .

لقد صار هذا المزمور فى فم الكنيسة الأولى وهى تواجه أولى موجات الاضطهاد الدموى ... فلما صلوا تزعزع المكان وامتلأ الجميع من الروح القدس من روح القوة وروح النصرة .

ومن يومها تجتمع قوات الشيطان على الكنيسة مؤامرة بعد مؤامرة ... وخطة تتلوها خطة ... ويكفى أن تراجع تاريخ الأباطرة الرومان العشرة الذين توالوا على

اضطهاد الكنيسة بكل قسوة الاضطهاد لكى تعلم مدى عمق هذه العبارة .

✠أبواب الجحيم لن تقوى عليها :

ولكن الحقيقة التى يقررها الروح ... أن هذه الاجتماعات الشيطانية ليست من الله ... يجتمعون اجتماعاً ليس منى !!

بل هو من قوات الظلمة ، وانى للظلمة أنْ تدوم ؟

ومتى كُتِبَ للظلمة ان تغلب النور ؟

وحكم الروح فى هذا الأمر الذى دونه تزول السموات أن من اجتمع على الكنيسة فإليها يسقط عند قدميها صريعاً .

سل التاريخ عن جميع الشخصيات والهيئات والجماعات التى جندها الشيطان ضد كنيسة الله – فيجيب التاريخ وبلا استثناء – أن جميعهم سقطوا صرعى تحت قدمى الكنيسة وبقيت الكنيسة شامخة قوية بعريسها مشرقة كالصبح طاهرة كالشمس مرهبة كجيش بألوية مستندة على ذراع مسيحها ، وإن كانت طالعة من برية العالم كأعمدة دخان معطرة بمر الآلام

ولبان الصلاة فى كل أجيالها .

فشكراً لله على نعمته التى لا يعبر عنها .

✤ الذين هم فى يد الرب :

إله الكنيسة هو هو ضابط الكل ... بيده مقاليد الأمور هو يحى ويميت .. يغنى ويفقر .

فكيف تخاف الكنيسة وممن تخاف ؟

أما المجرب فهو بكل قوته واقتداره وكل حيله ومؤمراته وكل حروبه وخرابه وكل شكواه واضطهاداته ... فهو قبل كل شئ مخلوق محدود مهما كبر أو علا وارتفع !!

سلطانه إلى حدود . كما قال الرب هذه ساعتكم وسلطان الظلمة .

والتجارب التى تأتى علينا هى بسماح الله ، تحت بصره وسمعه وهى تؤول حتماً لمجد أولاد الله ... يكفى أن نتأمل حياة أيوب وعاقبة الرب له ، ونهاية تجاربه وخزى المجرب بعد أن بارك الرب آخرة أيوب أكثر من أولاه .

١٧ - كل آلة صورت ضدك لا تنجح وكل لسان يقوم عليك فى القضاء تحكمين عليه . هذا هو ميراث عبيد الرب وبرهم من عندى يقول الرب .

✣ ميراث الله الدائم :

من أعظم ما تعتز به الكنيسة من مواعيد هو هذا الوعد الغالى أن كل آلةٍ صورت ضدك لا تنجح ، وكل لسان يقوم عليك فى القضاء تحكمين عليه .

ولكن لينتبه القارئ أن الروح يقول هذا هو ميراث عبيد الرب ، فهو اذن وعد إلهى بل هو ميراث من الله ، حصلت عليه الكنيسة من المسيح نفسه الذى أعطانا عربون الروح... الميراث المقتنى ... استودعه الكنيسة ، ترثه جيلاً بعد جيل ويتسلمه البنون من الآباء ، ليس كخبر كلام بل خبره صادق صدق الله نفسه وصدق مواعيد الله .

✣ كل آلةٍ صورت ضدك لا تنجح .

أى أن صناع الآلات ضد الكنيسة والمسيح والايمان ... يعملون بكل حكمة الشيطان فى كل خديعة الإثم ... يصورون الآلات ويخترعون الأدوات .. أدوات الهدم للايمان والقتل،والتخريب والعذاب لأولاد الله ... الآلات تصنع كل يوم وكل جيل ، ولكن ما هو مصيرها ؟ إنها لا تنجح هكذا قال الرب .

لا تنجح ولن تنجح .

محكوم عليها بالفشل وخيبة الأمل .

فإن كانت هذه الآلة انساناً أياً من كان حتى وإن قلده الشيطان قمة السلطان العالمى ، إذ هو رئيس هذا العالم .

وإن كانت هذه الآلة حكمة البشر وفلسفات الإلحاد ومقاومة الايمان ، وإن كانت هذه الآلة انحراف الهراطقة وخديعة الفساد فى التعليم . مهما تنوعت الآلات من صنع الشيطان أو اختراعاته ... فقول الرب قاطع مانع أنها .. لا تنجح .

✣ وكل لسان يقوم عليك فى القضاء تحكمين عليه

كم قامت ألسنة ، من يوم أن فم الخاطئ انفتح على المسيح – ولسان يهوذا الخائن قيل عنه **« كلامه ألين من الدهن وهو نصال »** كلام الملق ، كلام الخيانة ، كلام الكذب ، كلام الافتراء ، لسانهم سيف مرهف ، حنجرتهم قبر مفتوح سم الأفاعى تحت شفاههم .. هكذا وصف الوحى الالهى لسان الغش ، اللسان الذى امتلكه الشيطان وصار يشتكى على مختارى الله .

ولكن ما هو ميراث الكنيسة من قبل الرب ؟

كل لسان يقوم عليها ... تحكم هى عليه وتدينه بسلطان المسيح ... فلتخرس الشفاة الظالمة كما يقول

المزمور يستد كل فم متكلم بالعظائم ، الذين قالوا نعظم ألسنتنا شفاهنا منا ... من أجل شقاء المساكين (أولاد الله) وتنهد البائسين – إذ قد تعبوا من لسان الدُّغل – الآن أقوم يقول الرب أصنع الخلاص علانية فيخلص كنيسته من كل لسان شرير ... كلام الرب كلام نقى ومواعيد الله تزول دونها السماء والأرض .

كم اشتكى على الكنيسة وتكلموا على الرب وعلى مسيحه قائلين :

لنقطع أغلالهما وننزع عنا نيرهما ... الساكن فى السموات يضحك بهم .

✣ أحكام الرب العادلة :

تأمل كيف تكلم سنحاريب بكلام تجاديف وكلام افتراء وكلام تخاويف على أورشليم (رمز الكنيسة) ... وماذا كان جواب الرب : استهزأت بك احتقرتك العذراء ابنة صهيون ... على من عليت صوتك ؟ وماذا كان فعل الرب ؟ أرسل ملاكه وقتل ١٨٥ ألفًا فى ليلة واحدة ... فلما بكروا صباحًا إذا هم جثث قتلى وخرس اللسان ، وحكمت عليه فى القضاء .

تأمل كم جدف لسان جليات معيراً صفوف الله

الحى ... إلى أربعين يومًا ... وماذا كان تدبير الله تجاه تجبر جليات ومر لسانه ؟

استل داود سيفه ونزع رأسه عنه ونزع العار عن بنى اسرائيل واستد فم جليات إلى الأبد .

كما كان وهكذا يكون ... وستظل مواعيد الله نحو كنيسته ثابتة فعُالة إلى يوم مجيئه وظهور ملكوته



اشعياء ٥٥

✣ لكى تمتلئ إلى كل ملئ الله !!

١ – أيها العطاش جميعًا هلموا إلى المياه والذى ليس له فضة تعالوا اشتروا وكلوا هلموا اشتروا بلا فضة وبلا ثمن خمرًا ولبنًا .

٢ – لماذا تزنون فضة لغير خبز وتعبكم لغير شبع ، استمعوا لى استماعًا وكلوا الطيب ولتتلذذ بالدسم أنفسكم .

نداء للعطاش ..

الدعوة موجهة من الله إلى جميع العطاش وبدون استثناء ، أى من عطش من أى لون أو جنس ، من أى شعب أو أمّة ، من أى لسان أو لغة ، لا فرق المهم أن يعطش الانسان فينال هذه النعمة ، ألم يقل المسيح له المجد **طوبى للجياع والعطاش إلى البر فإنهم يشبعون ، أليس هو القائل « إن عطش أحد فليقبل إلىّ ويشرب » أنا أعطى العطشان ماء حياة مجانًا ، بل هو فى السماء يقود مختاريه إلى ينابيع ماء الحياة !!**

وستظل النعمة رهن إشارة العطاش فى كل جيل !!

« كشوق الغزال لمجرى المياه ... يا الله إلهى إليك أبكر

لأن نفسي عطشت إليك ... صارت نفسي كأرض عادمة المياه ...» .

بهذه الأشواق الحارة والعطش الحقيقي كانت نفس المرنم تترجى الله فتجده وتطلب النعمة فتدركها .

العيب دائماً يرجع إلى قلة أشواقنا ، وفتور محبتنا ، وعدم شعورنا بالاحتياج رغم شدة فقرنا وعجزنا .

أيها العطاش هلموا إلى المياه .

المياه هي مياه الروح القدس ، مياه الراحة .

مياه الحياة – الماء الحي .

مياه الفرح والشبع .

مياه النمو والثمر .

مياه السقي « كلنا سقينا روحاً واحداً » .

مياه صخرة قادش ، والصخرة كانت المسيح .

مياه النصرة – مياه جدعون .

مياه الخلاص الخارجة من جنب المسيح .

مياه الروح التي تنبع من باطن الانسان تجري من بطنه أنهار ماء حي .

مياه الأعماق من مجد إلى مجد ، من القدمين إلى الركبتين إلى الحقوين إلى نهر سباحة . الروح الذي لا

يستطيع أحد أن يسبر غوره ، مياه الميلاد الثانى من الماء والروح التى أعلنها الرب لنقوديموس وفتح له باب الحياة الجديدة .

مياه التوبة وينابيع الدموع بالروح القدس لغسل الضمير وتطهير القلب وغسل رجلى المخلص .

من لنا بهذه المياه ، وكيف تعطش النفس إليها ؟

يارب أجعل نفوسنا تعطش إلى ينبوع الحياة فيك .

الغنى الفائق ...

الذى ليس له فضة تعالوا اشتروا

الكلام يصرخ بمضادة عجيبة ، هو ينادى الذين ليس لهم فضة أى فقراء معدمين ، وفى ذات الوقت يشير عليهم أن يشتروا فالأمر فيه غموض لذيذ ، يحتاج وقفة هادئة وتأمل بإخلاص فمن ياترى يستطيع أن يحوز نعمة الروح القدس ويقتنيها ؟

طوبى للمساكين بالروح .

لا فضة ولا ذهب ولا مقتنيات العالم كله تستطيع أن تعطى الروح .

– لقد افتكر سيمون الساحر أن يقتنى موهبة الله بدراهم ففشل وهكذا صار عبرة لمن يعتبر ، حتى أنه فى

تاريخ الكنيسة تذكر كلمة السيمونية أى الحصول على الوظائف الكهنوتية بالرشوة ودفع المال نسبة إلى سيمون الذى أراد أن يقتنى موهبة الروح القدس بالمال

– القديس بطرس الرسول حين قال للأعرج ليس لى فضة ولا ذهب ، أفاض شفاء بالروح القدس وأظهر غنى ليس من هذا العالم .

– من لا يتفرغ من غنى الناس كيف يقتنى غنى الله ؟

لا يقدر أحد أن يخدم سيدين الله والمال .

لا بد أن يحتقر المال كل من يريد أن يلتصق بالله ويخدمه كسيد . إن عطية الروح القدس ونعم الخلاص كلها عطايا مجانية ، تفاض من الله بلا مقابل من نحو الانسان لأنها لا تقدر بثمن ولا تقيم بمال ، ولئلا يظن أنها رخيصة ، يقول الروح تعالوا اشتروا ...

فهى وأن كانت مجانية لكن لا بد أن نشتريها ، ولكن ليس بما هو مادى وليس بعملةٍ من هذا العالم الزائل .

ما أصدق قول الرب الذى قاله عن الرجل الذى وجد الجوهرة كثيرة الثمن فإنه مضى وباع كل ماله واشتراها .

فماء الحياة يشترى بأن يبيع الانسان ما كان يحسبه

ربحًا من كل ما فى العالم الزائل ، ومن لا يبيع لا يستطيع أن يشترى . من لا يفرغ قلبه من محبة العالم كيف يمتلئ من محبة الله ؟

ومن لا يخلع العتيق كيف يلبس الجديد ؟

هكذا يشير الروح دائماً قائلاً « **أشير عليك أن تشترى منى ذهبًا مصفى بالنار وثيابًا لستر عورتك** » .

خمرًا ولبنًا .

كان قول الرب فى القديم « **أرضًا تفيض عسلاً ولبنًا** » مشيرًا إلى أرض الموعد غير معتمدة على نهر يجرى فيها مثل أرض مصر ، بل « **أرضًا يعتنى بها الرب إلهك** » عناية فائقة أمر كل يوم فيوم وكل موسم فموسم من جهة المطر المبكر والمتأخر . وقد ارتبط تكميل الوعد دائمًا بطاعة الشعب وحفظه الوصايا وإرضاء الله ، على أنه فى أزمنة العصيان قيل « **خطاياكم منعت الخير عنكم** » .

وهنا يعود الروح فيبشر المفديين ، العطاش والجياع إلى البر ، أن تعالوا اشتروا ، اشربوا ماء حياة مجانًا وكلوا وأشبعوا خمرًا ولبنًا ، **فالخمر** هنا هى فرح الروح القدس ، الذى لما انسكب على الرسل الأطهار ظن العامة أنهم سكارى مع أنها كانت الساعة الثالثة من النهار .

واللبن هو التعليم الروحانى عن سر الثالوث القدوس وسر الفداء وطرق الخلاص كقول القديس بطرس الرسول « اشتهوا اللبن العقلى العديم الغش لتنموا به للخلاص » وقول القديس بولس الرسل للمبتدئين « سقيتم لبناً لا طعاماً » .

فالروح مزمع أن يشبع الذين يقبلوه بفرح لا ينطق به ومجيد وينميهم كما تربى المرضعة أولادها بحنان التعليم بعمل سر النمو الكائن فى اللبن العقلى .

فطوبى للعطاش إلى ينبوع الروح الذين يفرحون ولا يستطيع أحد أن ينزع فرحهم منهم .

نصيحة مُحب :

✣ لماذا تزنون فضة لغير خبز ؟

وتعبكم لغير شبع ؟

هكذا يضيع تعب الانسان سدى حينما يتاجر فى الأرضيات ويستعبد للجسد ، يشقى ويعرق وعرقه ينصب إلى التراب !!

كقول الرب للسامرية ، من يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً

العين لا تشبع من النظر كقول الحكيم .

مـا اجمـل كلمات الـروح القدس التى نـطق بها يـعقـوب الرسـول « **تشتهون ولستم تمتلكون ، تقتلون وتحسدون ولستم تقدرون أن تنالوا . تخاصمون وتحاربون ولستم تمتلكون لأنكم لا تطلبون . تطلبون ولستم تأخذون . لأنكم تطلبون رديًا لكى تنفقوا فى لذاتكم » يع : ٤ : ١-٣ .**

فالفضة تنفق ولكن لا يوجد خبز !!

وتعب الانسان يبذل ولكن لغير شبع .

هيهات للعالم أو الجسد أو الشيطان أن يعطى خبزاً أو شبعاً ... هذه حقيقة لأنه هل يجتنون من الشوك تيناً ؟

سل الذين ذهبوا وراء الشهوات وأفنوا العمر سعيًا للتلذذ ، هل شبعوا ؟

سل الذين لهثوا جرياً وراء مجد العالم الزائل ، هل شبعوا ؟

سل الذين جدوا فى طلب اكتناز الأموال والحصول عليها بكل الطرق المشروعة وغير المشروعة ، هل شبعوا ؟

هيهات للنفس أن تشبع من الآبار المشققة التى لا تضبط ماء ، والروح إذ يشفق على الانسان يقول لماذا ؟

وهو هنا ليس مبكتًا على أزمنة الجهالة فحسب بل

نصوحاً يطلب إلى الانسان ألا يتمادى فيضيع ما بقى من الأيام ...

من له أذنان للسمع ؟!

استمعوا لى استماعًا وكلوا الطيب ولتتلذذ بالدسم أنفسكم .

الكلام عن الشبع من دسم النعمة وغنى ملكوت المسيح ووفرة الخيرات الأبدية كلام يطول شرحه ، وإن بدت الألفاظ هنا عن الأكل الطيب والتلذذ فهو فى الواقع يرتقى إلى ما فوق الحواس إذ أنه لا يخص الجسد الترابى ولا يتحدث مطلقاً عن ملذات هذا العالم الزائل .

والخطوة الأولى فى الطريق تبدأ بالسماع ، أن يميل الانسان أذنه وينصت لكلمة الخلاص ، كقول المسيح **« تأتى ساعة حينما يسمع فيها الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون »**

مجرد سماع كلمة المسيح تقيم الموتى وتحييهم .

دعوة للجياع ...

كان الروح فى البداية يشير على العطاش أن يقبلوا إليه ، وهنا ينادى الجائعين إلى البر لكى يشبعهم .

وقد يتساءل الانسان قائلاً ماذا يكون هذا الأكل والطيب

والدسم الذى يشبع النفس ويلذذهـا ؟ ماذا يعطى .

فى القديم أعطاهم المن ليأكلوا وماءً من الصخـرة ليشـربوا وكانا هما قوام الحياة للسائر فى البرية . ولكنهم أكلوه جسدياً بانسان عتيق وذهن راجع مرتد إلى مصر فماتوا وبأكثرهم لم يسر الله .

المسيح هو المن النازل من السماء لكى يأكله الانسان ولا يموت .

وهو أعطى جسده مأكلاً حق ودمه مشرباً حق .

هذا الجسد المكسور والدم المبذول حبًا وسخاء أبدياً ونعمة وغفراناً للخطايا ... فمن يأكله يحيا به ... بذات الحب والبذل فتتلذذ نفسه بالحب الالهى ويطيب قلبه قائلاً للحبيب « حبك أطيب من الخمر » . هذا هو طعام الروح وخبزه النازل من السماء ، من يدركه تدركه لذات روحية يتثقل بها عقله ويذهل من فرط الحب حتى لا يستطيع أن يدوم فيها طويلاً .

تكرار الدعوة بلا ملل ... حتى إلى الصليب !!

٣- أميلوا آذانكم وهلموا إلى اسمعوا فتحيا أنفسكم وأقطع لكم عهداً أبديًا مراحم داود الصادقة .

من كثرة ما عاند الانسان وذهب وراء عناد قلبه

وقسوته ومن كثرة ما أهمل الصوت الالهى على مدى الدهور ، صار الوحى يكرر النداء ويجدده لعله يجد من الانسان أذناً صاغية .

بداية انحراف الانسان وسقوطه كان عدم الإصغاء لصوت الله الذى غرسه فى قلب أبوينا الأولين ، فمن ثم صار الاستماع أفضل من تقديم الذبائح .

ثم فى البرية اسخطوا الرب عليهم إذ قسوا قلوبهم لذلك يقول إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم كما فى الاسخاط حين جربنى آباؤكم .

الانسان فى ضيقته يطلب أن يسمعه الله ويقول « **أمل يارب أذنك واستمعنى** » ... « **استمع يا لله طلبتى واصغ إلى صراخى** » . « **أحببت أن يسمع الرب صوت تضرعى** » .

والله يجيبه بالتالى أميلوا أذانكم وهلموا إلى ... اسمعوا فتحيا نفوسكم .

هلموا إلىّ .

كأب ينادى أطفاله يجتذبهم إلى حضنه .

هى عين كلمات المسيح « **تعالوا إلى يا جميع المتعبين** » لقد فتح ذراعيه على الصليب جاذباً كل أحد ، وكل من

أقبل إليه نال فيه الحياة الأبدية ودخل فى عهده الجديد بدمـــه الغـافر الخطـايا .

فبالصليب قطع الرب مع بنى البشر عهداً أبدياً وأظهر مراحم داود الصادقة صدق الوعد الأزلى .

فهل توجد مراحم لله خارج دائرة الصليب ؟

وهل يوجد عهد كالعهد الذى ختمه الله الآب بدم ابنه غير حاسب لنا خطايانا ؟

فى الليلة التى أسلم فيها الرب ذاته ليتألم عن خطايانا أعطى جسده خبز حياة أبدية ودمه المبذول قدّمه كأس عهد جديد يعطى لمغفرة الخطايا وحياة أبدية لكل من يتناول منه ... فلنمجده ونرفع اسمه لأنه صنع معنا رحمة كعظيم رحمته .

مراحم داود :

ثم لماذا بالتخصيص ، عهد الله مع داود ومراحمه الصادقة ؟

المسيح هو ابن داود ، يجلس على كرسى داود أبيه يحكم بالحب والحق معاً ، وعهد الله مع داود ومراحمه هى كثيرة ومحفوظة فى الأسفار ، ظلت قروناً رهن التنفيذ فى ملء الزمان ، **من أجل داود عبدك لا ترد وجهك عن**

مسيحك .. حلف الرب لداود حقًا ولا يخلف لأجعلن من ثمرة بطنك على كرسيك» .

وعجيب أن يقال للرجل من ثمرة بطنك ، فهذا القول يقال للنساء أما الرجل فمن ثمرة صلبه ...

فالمسيح لم يكن من زرع البشر ، وليس من مشيئة رجل بل هو مولود من بطن العذراء من سبط يهوذا من بنات الملك داود ... ياللعجب .

شريعة لكل قلب

٤- هوذا قد جعلته شارعًا للشعوب رئيسًا وموصيًا للشعوب .

المسيح الملك ، ابن داود ، نسل المرأة (مع أن النسل لا ينسب إلى المرأة) هو هو شارع شريعة الكمال .

الشريعة الأولى ... شريعة موسى .. شريعة العهد القديم ، شريعة لوحى عهد الحجر ، والكلمات العشرة .. والجبل القديم المدخن بالنار . أما المسيح الإله ، فقد أعطى عهداً جديداً ، وشريعة جديدة اسمعه يعلمنا من أعلى جبل الشريعة بكلمات وديعة ، لا كالعهد الأول ... بل كما هو مكتوب أجعل ناموسى فى أذهانهم واكتبه على قلوبهم ، الكلام هنا للذهن الروحى والقلب المخلوق مجدداً فى

المسيح ... أمل أذنك واسمعه ، اصغَ وانصت لكلماته الالهية وشريعة حبه التى ارتفعت إلى أقصى السموات .

« سمعتم أنه قيل للقدماء ... أما أنا فأقول لكم »

بل اسمعه حينما فتح فاه وقال « **طوبى للمساكين بالروح .. طوبى للحزانى .. طوبى لصانعى السلام .. طوبى للرحماء ..** » شارعاً للشعوب .

هكذا أحب الله العالم .. لقد اختصت الشريعة الأولى بنى اسرائيل فقط فميزتهم وخصتهم . صارت إليهم كلمة الله ، بيد وسيط ،..... إنهم لم يكونوا أمناء .

هنا المسيح جعل شارعاً لشعوب الأرض كلها ورئيساً وملكاً على ملوك الأرض كلها ، بل هو ملك الملوك ورب الأرباب .

وموصياً ، أليس هو الذى أوصى بالروح القدس التلاميذ الذين اختارهم وأرسلهم إلى كل العالم ، فالذين لم يسمع لهم صوت خرجت أصواتهم إلى الأرض كلها .

هو اذن مسيح العالم كله ومخلص العالم كله .

وجدت من الذين لا يطلبوننى ؟!

٥- ها أمة لا تعرفها تدعوها وأمة لم تعرفك تركض إليك من أجل الرب إلهك وقدوس اسرائيل لأنه قد مجّدك .

لما خرجت الشريعة الجديدة واستعلن حب الله على الصليب ، طاف الرسل يبشرون الأمم ويكرزون بملكوت الله بحسب قول الرب ... اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها . وقد أتسم العمل الكرازى بمساندة الروح القدس كقوة دفع وجذب فى آن واحد .

فذهب الرسل إلى أمم لا يعرفونها يدعون ويبشرون وكان ينضم إلى الرب كل يوم الذين يخلصون .

ومن جهة أخرى كان الروح يسبق ويهيئ القلوب للقبول ويعمل فى النفوس عمله الخفى فيطلبون الرب بكل اجتهاد ويسعون كمن يركض لينال ، ومن الأمثلة الدالة على ذلك كيرنيليوس قائد المئة الوثنى كيف حركه الروح وأرسل واستدعى القديس بطرس الذى كلمه بكلمة الخلاص وحل عليهم الروح القدس كباكورة للأمم .

وكذلك أيضًا الرجل المكدونى الذى ظهر فى الرؤيا للقديس بولس الرسول صارخاً اعبر إلينا واعنا .

فبالكرازة بالإنجيل نفعل الكلمة فعلها العجيب ، وكذلك صارت حياة الرسل نوراً للعالم فانجذب إليهم وتبعهم كل من كان محسوباً ومعيناً للحياة الأبدية.

الرب قريب :

٦- أطلبوا الرب ما دام يوجد ادعوه وهو قريب

كانت نبوة النبى فى القديم للملك آسا تقول « **اسمعوا لى يا آسا وجميع يهوذا وبنيامين ، الرب معكم ما دمتم معه وان طلبتموه يوجد لكم وأن تركتموه يترككم** » .

وهل تنسى كلمات ربنا يسوع « **اطلبوا تجدوا ... كل من يطلب يجد** » ولكن يعقوب الرسول يقول « **تطلبون ولستم تأخذون لأنكم تطلبون رديا** » .

وعن أحد ملوك يهوذا يقول الروح إنه طلب الرب بقلب مستقيم وفى طلبه أنجحه الرب .

لقد قدم المسيح ذاته وبذل نفسه.. فماذا بقى للانسان ؟! وماذا يكون دوره ؟

ليس على الانسان سوى أن يأخذ ويتمتع ، ففى رسالة فيلبى توجد العبارة التى ألهبت قلب الكنيسة بإحساس حضور المسيح « **الرب قريب .. ماران آثا** » .

فإن يكن هذا الإحساس بقرب الرب وحلوله فى وسطنا ، عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا ... فما علينا سوى أن ندعوه فنجده ، نقترب إليه فيقترب إلينا ، نقرع فيفتح لنا .

لذة الروح فى الصلاة ...

الطلب والدعوة هنا تصيران صلاة ، نفتش عليه فنجده عميقاً أعمق من عمقنا وعالياً أعلى من علونا ، لكنه فى داخلنا يسكن « **ها ملكوت الله داخلكم** » .

لقد صار قريباً جداً .. الذى رأيناه بعيوننا ولمسته أيدينا فهل يوجد أقرب منه ؟

ألم يقال عنه أنه أقرب من الصديق وألصق من الأخ ؟

اطلبه حتى تجده ولا تكف عن الصلاة حتى تلمسه

توبنى يارب فأتوب ..

٧- ليترك الشرير طريقه ورجل الإثم أفكاره وليتب إلى الرب فيرحمه وإلى إلهنا لأنه يكثر الغفران .

ولكن أن نطلب الرب فنجده يلزمنا جداً تغيير الطريق وتغيير الشكل ، تغيير القلب والفكر جميعاً .

فعلاً التوبة والرجوع إلى الله فى وضعها الحقيق هى تغيير جذرى فى شخصية الانسان « **تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم** » .

فإن كانت المعمودية هى تغيير خلقة ، فالتوبة هى استمرار التغيير .

– التوبة التى ينقصها التغيير هى كلمات جوفاء بلا قيمة كجسد ميت بلا روح . ليترك الشرير طريقه ؟ ثم ماذا ؟ سيجد الطريق والطريق هو المسيح .

قيل عن توبة أهل نينوى التى أرضت الرب ، إنهم **«رجع كل واحد عن طريقه الردية . عن الشر الذى فى أيديهم»** .

– فى الخطايا ، ملنا كل واحد إلى طريقه كغنم ضالة... فقدنا الطريق المؤدى إلى الحياة وسرنا فى مسالك الموت... فإن عدنا نطلب الحياة ، لا بد من تغيير الطريق .

طريق الحياة ..

ترك الطريق إلزام محتم لا غنى ولا بديل عنه ... لأنه هل يستطيع الانسان أن يمشى فى طريقين فى آنٍ واحد ؟ أو أن يخدم سيدين ؟

لا بد أن يرضى الواحد ويحتقر الآخر !!

يتبع الواحد ويترك الآخر برفض وإصرار !

ليترك الشرير طريقه .

« ها قد جعلت أمامك طريق الحياة وطريق الموت ، اختر الحياة فتحيا » ، « توجد طريق تبدو للانسان مستقيمة وفى عاقبتها طرق الموت » اتركها ، غير مسار

الحياة ، أطلب طريق ومسالك الاستقامة ، اخرج فى آثار الغنم التى قادها المسيح فى مراعى الروح ، واقتفِ آثارها فى الحب والطهارة والبساطة والاتضاع وإنكار الذات ، تجد نفسك تسعى فى أثر خطوات المخلص الذى هو نفسه طريق الحياة الأبدية . الله مستعد بالرحمة بل هو كثير الرحمة ، ومستعد للغفران ودم يسوع المسيح ابنه يطهر من كل خطية ، لكنه ينتظر توبتنا ليعطينا ، لنظهر له أشواق القلب فننال ، لنصنع لأنفسنا مسالك مستقيمة ، لنرفض الطرق المعوجة .

ليترك الشرير طريقه ، ورجل الاثم أفكاره .

ترك الطريق هو فعلى عملى ... مجاله فى السلوك والحياة .

ترك الأفكار هو إيمان ... مجاله فى الفعل والقلب الذى منه مخارج الحياة ، الاثنان معاً يكونان توبة صادقة مقبولة .

ايمان بلا أعمال ميت فى ذاته .

فكر المسيح .

٨- لأن أفكارى ليست أفكاركم ، ولا طرقكم طرقى يقول الرب .

٩- لأنه كما علت السموات عن الأرض هكذا علت طرقى عن طرقكم وأفكارى عن أفكاركم .

طريق الانسان التى يسير فيها هى تنفيذ لفكره ، فأنت تفكر ثم تنفذ وأعمالك هى ترجمة أفكارك الداخلية .

فالأعمال تتشكل فكراً فى الداخل ثم تولد فى الخارج .

لذلك قال ربنا : **من القلب تخرج أفكار شريرة ، قتل زنى ، فسق ، سرقة** ، فالقلب هو كنز الانسان الذى يخرج منه جدداً وعتقاء على حد سواء .

فماذا عن قلب الانسان الذى منه مخارج حياته ؟

اسمع أرميا النبى يقول : القلب اخدع من كل شئ وهو نجيس من يعرفه ؟

هذا هو قلب الانسان ، قلب الطبيعة الساقطة الذى يقود حياته فى سبل الموت .

أما قلب الله فمن يستطيع أن يصفه .

أو من يستطيع أن يعرف فكر الله ؟

أنه اللانهائى فى كل شئ .

فإن فكرت فى الحب الالهى فهو لانهائى غير موصوف

وأن تأملت فى القداسة أو الاتضاع ، أو الكمالات الإلهية ، فمن أنت أيها الانسان حتى تقترب إلى غير المقترب منه ؟

عجز ما بعده عجز ، فالله هو القداسة المطلقة الكاملة ، والانسان بره كخرقة دنسة ، ما أرهب الفارق .

لذلك قيل من عرف فكر الرب ؟

شئ مهول لا نهائى .

اقنعتنى يارب فاقتنعت ..

ولكن الله لا يضع هنا هذه المفارقة ليقارن بينه وبين الانسان حاشا!!

فلا وجه للشبه أو المقارنة بين من هو أزلى أبدى ومن هو زائل ترابى .

أو بين غير المحدود والمحدود .

أو بين القدوس والخاطئ .

أو بين الله الحى المحيى والانسان الساقط الميت .

بل هى محاولة من الروح أن يقنع الانسان أن يترك طريقه البشرى الجسدانى ، المؤدى إلى الهلاك . يتركه ويجحده ويطلب طريق الله ، طريق الحياة ، طريق الخلاص .

فالانسان وهو متردى فى طريق الشهوات والملذات ومسرات الدنيا والاطماع وكل ما يخص الجسد ، يكون عنده قناعة كاذبة وخداع رهيب أن هذه هى أقصى سعادته وفرحه ومراده وهدفه ، وهو لا يعلم أنه بائس ومسكين وفقير واعمى وعريان ويحتاج إلى من ينبهه ليستفيق من غفلته ، ويفكر فى نهاية الطريق ، فى الأبدية ، فى أجرة الخطايا التى هى الموت .

نطلب ونأخذ ...

أفكار الله من نحونا ، عالية ، عالية جداً .

ليتنا نطلبها ، ونأخذها ، فيكون لنا فكر المسيح « أما نحن فلنا فكر المسيح » .

الله يقول كما علت السماء عن الأرض علت أفكاره عن أفكارنا .

هو يشجعنا أن نطرح أفكارنا ، ليترك رجل الاثم أفكاره ، فينال فكر الله ، يتجدد فكره بالروح ومشيئته فتصير أفكاره حسب فكر الله ومشيئته حسب مشيئة الله .

وحينما يقول أن طرق الله علت عن طرق الانسان كعلو السماء عن الأرض ، انه يحمسنا أن نرذل طرقنا الوضيعة

الترابية التى لسيرتنا الجسدية لنرتقى فى الروح ونصير فى السماويات .

نعم إن الذين انحازوا إلى طرق الله ، سموا بالروح ، وامتلأوا بالروح ، أوسلكوا بالروح ، وصاروا فى الروح .

كلها أمور سماوية عالية .

والذين انحازوا للجسد والعالم انحدرت بهم الطرق إلى التسفل فى كل شئ ، وهبطوا إلى الدنايا وانتهت بهم الشهوات إلى قبور الشهوة كما فى القديم وطرحت جثثهم فى القفر .

اطلب العالى ترتفع وتزداد سمواً لأن الذين طلبوا التراب دفنت آمالهم مع أجسادهم .

كان أبونا بيشوى كامل يقول الذى ينحاز إلى الله يتمجد مع الله ويزداد ويعظم ، والذى ينحاز إلى العالم يفنى مع العالم وينقص ويصغر .

طرق الله غير طرق الناس .

أفكار الله غير أفكار الناس .

هذه حقيقة ترجمها إلى حياة بأن تنحاز إلى طرق الله ، وأفكار الله .

وكيف يكون هذا ؟

افكار الله معلنة فى الوصايا ، فى كلمة الله الموحى بها من الله ، وهى تحمل فكر الله نحو خلاصنا .

طرق الله تراها فى القديسين الذين تبعوا الطريق حتى وصفهم العالم فى البداية بأنهم أتباع الطريق ، ما أجملها تسمية « طوباهم الذين بلا عيب فى الطريق » .. « لأن صانعى الإثم لم يهووا أن يسلكوا فى سُبله ... ياليت طرقى تستقيم إلى حفظ حقوقك » مز ١١٨ .

ما أجمل كلمات هذا المزمور .

١٠- لأنه كما ينزل المطر والثلج من السماء ولا يرجعان إلى هناك بل يرويان الأرض ويجعلانها تلد وتنبت وتعطى زرعًا للزارع وخبزًا للآكل .

١١- هكذا تكون كلمتى التى تخرج من فمى لا ترجع إلىَّ فارغة بل تعمل ما سررت به وتنجح فيما أرسلتها له .

القصد الالهى ...

هنا هدف الكلمة (المسيح) وقصده من نحو الانسان صار واضحاً أشد الوضوح .

فالمطر والثلج (المياه) لا تنسكب من الأعالى عبثًا ؟

حاشا بل هى مرسلة لعمل الحياة ، والنمو والزرع والثمر .

فالسمائيات وفكر الله العالى وطرق الله وكل غنى الروح والمواهب النازلة من فوق .. كل هذا لتفليح الأرض (الانسان الترابى) لينبت لله ، ليثمر لله ، ليحيا لله .

فهل تحيا الأرض إن لم يسقط عليها الماء من فوق ؟

هنا الكلمة تصير هى الحياة بعينها !! الكلام الذى أكلمكم به هو روح وحياة . وعمل الماء - ماء الحياة - هو فى النفس والجسد والروح معًا ، بل يزيد الروح إيضاحاً بقوله عن الأرض أنها تلد وتنبت إذا ما أصابها ندى روح الحياة ومياه الرى النازلة من فوق .

هذه هى ولادة الحياة وزرع الله ، الروح القدس إذا ما انسكب على النفس القابلة زرع الكلمة ، يجدد خلقتها ، كميلاد ثانٍ جديد من الماء والروح ، وتكمل الكلمة « أن المولود من الله لا يخطئ .. لأن زرعه يثبت فيه » .

عمل المياه فى الأرض للنمو والولادة من يدرك سره ؟

أنه عمل حيوى خفى تلاحظ آثاره ولكن يظل أبعد من الفحص وأعلى من الإدراك الحسى .

✤ الثمر مؤكد ...

والملاحظة الجديرة بالاعتبار ، أنه كما لا يرجع المطر خائبًا بدون عمل ، هكذا تصير الكلمة فى فعلها العجيب وأثرها العجيب ، لا تخيب ، ولا ترجع فارغة .

فإن كانت قد أرسلت فهى عاملة ومثمرة لا محالة .. لا شئ يستطيع أن يعطلها أو يبطلها ، فهى مؤمنة من الله إذ هى كلمته . وهى أن لم تثمر تدين الأرض التى قبلت المطر المبكر والمتأخر ولم تثمر فتصير قريبة من اللعنة والهلاك كقول الرسول وكقول الرب نفسه « الكلام الذى تكلمت به هو يدينه فى اليوم الأخير » ، فالكلمة أن لم تعمل للثمر فهى تحكم للدينونة وفى كلتا الحالتين فإنها تعمل مسرة الذى أرسلها .

١٢- لأنكم بفرح تخرجون وبسلام تُحضرون . الجبال والآكام تشيد أمامكم ترنمًا وكل شجر الحقل تصفق بالأيادى .

١٣- عوضًا عن الشوك ينبت سرو وعوضًا عن القريس يطلع آس . ويكون للرب اسمًا علامة أبدية لا تنقطع .

أما ثمر الروح فهو فرح وسلام ...

ما هو ثمر الروح القدس ؟

وما هو نتاج فعل روح الحياة ، ماء الحياة إذا انسكب على أرض جيدة ؟ هو الفرح .. فرح الحصاد لحساب الملكوت ، وأى فرح مثل هذا ؟

أما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام ...

هذا ما نقرؤه عن الكنيسة الأولى أنها كانت تبنى وكان لها سلام وبنعمة الروح كانت تتكاثر ، كان الفرح والسلام هما سمة المسيحيين الأوائل ، حتى الطعام كانوا يتناولونه بابتهاج وبساطة قلب .

تصوير رائع لأعماق الفرح والسلام .

الجبال وشجر الغاب ، الجبال تشيد ترنماً والشجر يصفق بالأيادى ، ما أبدعه تشبيه حين نبت زرع الروح وترعرع فى الكنيسة بالنعمة المنسكبة عليها ، انتشت لها الجبال العالية ، أى الرؤساء والمعتبرين ، وشجر الغاب من الفرح صار يصفق بالأيادى ، لقد لفح الروح وفى هبوبه عصف بكل الخليقة الكبار (الجبال) والصغار (التلال) معاً ، ونبات الحقل وشجر الغاب ، اليهودى واليونانى ، البربرى والسكيثى ، العبد والحر ... البعيدين والقريبين . لم تمضِ سنوات إلا والريح العاصف يلف المسكونة كلها ، والنار التى سقطت من السماء ، قد

اضطرمت فى أرجاء الأرض كلها وتبدل حال الخليقة .

عوض الشوك والحسك - الذى هو ثمر الخطايا منذ يوم السقوط - نبت الآس والسرو ، ذو الرائحة العطرية والمنظر الجميل والفائدة العالية .

عوض بنى الخطايا والموت . ولد لله بنون يتمجد الله بهم فهم رائحة المسيح الزكية ، وقد رآه زكريا النبى واقفاً فى وسط الآس الذى فى ظله الالهى يحتمى ..

✣ ويكون للرب اسماً علامة أبدية لا تنقطع .

بحلول الروح وولادة الكنيسة وانتشار السلام الالهى والفرح الأبدى ، بهذه يستعلن المسيح للعالم ، ويصير اسمه مبارك وممجد ومستعلن أنه مخلص العالم - عمانوئيل .

وعلامة صليبه صارت أبدية ، بها تحيا الأكوان الروحية.

الصليب هو قوة الله وحكمة الله ... وعلامته للحياة الأبدية ، حتى فى اليوم الأخير تظهر علامة ابن الانسان ، وستظل علامة المسيح القائم فى وسط السماء كأنه مذبوح تسبحه الطغمات السمائية لأجل ذبيحة صليبه إلى أبد الأبدين وإلى دهر الداهرين .



اشـعياء ٥٦

١- هكذا قال الرب احفظوا الحق وأجروا العدل لأنه قريب مجئ خلاصى واستعلان برى .

٢- طوبى للانسان الذى يعمل هذا ولابن الانسان الذى يتمسك به الحافظ السبت لئلا ينجسه والحافظ يده من كل عمل شر .

لمن يستعلن الخلاص ؟

أشعياء يبشر بالروح بقرب مجئ الخلاص واستعلان البر الأبدى الذى لمخلصنا الصالح .

والزمن فى النبوات - ساقط ، كأن لا وجود له ، وأشواق الروحيين تختزله حتى كأن المستقبل البعيد صار واقعاً ملموساً .

والسؤال لمن سيستعلن خلاص الله وإلى من يجئ بر المخلص المسيا ؟

والجواب هو احفظوا الحق - اجروا العدل لأن لمثل هؤلاء يستعلن الخلاص .

احفظوا الحق - والحق المطلق هو الله - الجوهر الأزلى الذى لا يزول ولا يتغير - كل من يتبعه لا يضل .

اجروا العدل – والعدل ضد الظلم – وكأنه سلوك فى النور .

فمتى جاء الحق – المسيح – واستعلن روح الحق – الروح القدس – روح المسيح فإن التابعين الحق يجدونه وصانعى العدل ينحازون إليه ويكتشفونه .

ولو تتبعنا كيف بزغ النور إلحقيقى متجسداً من العذراء-ولمن استعلن أول ما استعلن ، للحكماء من المجوس ، محبى الحكمة ، والمفتشين عنها فى الطبيعة ، قادهم حبهم للحكمة إلى ينبوع الحكمة ذاتها .

وزكريا الكاهن البار قاده حبه لله وسلوكه فى وصايا الرب إلى أن يكتشف البار وواضع الوصايا وصاحب العهد الجديد .

ونيقوديموس ويوسف الرامى وحنه النبية وسمعان الشيخ مع جميع المنتظرين الخلاص عاينوه ولمسوه .

لذلك يقول الروح ... طوبى للانسان الذى يعمل هذا ويتمسك به ، فإنه سينال الخلاص ويتمتع بميراث المسيح، ألا تذكر قول بطرس الرسول فى بيت كرنيليوس ، « فى كل أمة الذى يصنع البر مقبول أمامه » .

فكرنيليوس إذ تبع هاتف الخير ، وصار صائماً مصلياً

يصنع صدقات كثيرة ، أرشده الرب بملاك مقدس أن يرسل إلى سمعان بطرس يعلمه طريق الخلاص ويعمده هو وأهل بيته .

راحة الرب ...

الحافظ السبت لئلا ينجسه والحافظ يده من كل عمل شر .

أن وصية السبت فى عمقها الروحى تحوى أسراراً تربط الانسان الذى يحفظها بالله برباط غاية فى العمق ، وهى كباقى الوصايا إن انحصر الانسان فى الجسد لا يرى إلا ما هو جسدى مادى فيها فيعثر بها ...

✣ فالسبت يربط الانسان بالله الخالق ، الذى استراح من أعماله خالقاً أو بالحرى استراح فى خليقته ، ولا سيما الانسان الذى خلقه على صورته ومثاله ، **فاستراح المثيل على المثيل** ، والأصل استعلن بأن تجلى فى صورته ، والخالق تمجد فى بهاء خليقته .

✣ ثم السبت يربط الانسان بمصدر القداسة ، ويدرك الانسان فى السبت عهد القداسة الذى بينه وبين الله ، إذ يفرز السبت من باقى الأيام ليكرسه لله ، يذكر أن الله أفرز مختاريه وقدسهم ، وهنا يأتى التقديس بمعنى الفرز

والتخصيص ؛ فيدرك الانسان ميزته الروحية وقوة التقديس التى جعلته بمعزل عن حياة العالم الغارق فى الخطايا ، فنحن نقرأ فى سفر الخروج « سبوتى تحفظونها لأنه علامة بينى وبينكم فى أجيالكم لتعلموا انى أنا الرب الذى يقدسكم » فالسبت إذن عهد وعلامة لتقديس الله لشعبه ، هكذا كل من يحفظ السبت بالروح يدخل إلى هذا العهد .

كذلك صار السبت ، رمزاً **للخلاص** ، فيربط الانسان بالله مخلصه « اخرجك بيد شديدة لذلك أوصاك أن تحفظ السبت » خر ٣١ : ١٧ .

أنظر كم يجنى الانسان الحافظ السبت من ثمار الروح !

إنه يصير فى حضرة الله الخالق المقدس والمخلص .

ألا تنفتح بصيرة مثل ذلك الانسان ليدرك المسيح ، وتكون وصية السبت قد هيأت الانسان لقبول الخلاص وعهد التقديس بدم الفصح الأبدى الذى هو المسيح .

انطلاق طاقة الخير من الانسان ...

والحافظ يده من كل عمل شر .

وهذا يوضح بجلاء شديد أن السبت لم يكن تجميداً

للانسان وتعطيلاً لطاقات الخير فى الانسان ، بل أن السبت فى مفهومه الروحى هو حفظ اليد من كل عمل الشر بينما تمتد اليد لتعمل الخير فى ايجابية مقدسة . وهذا ما نقرأه فى الانجيل المقدس عندما كان الرب يزيح غطاء الجسد عن يوم السبت ويرفع البرقع عن ذهن الذين عاشوا تحت الناموس فكان يبرئ فى السبوت وقال قوله الالهى « اذن يحل فعل الخير فى السبت » .

٣- فلا يتكلم ابن الغريب الذى اقترن بالرب قائلاً إفرازاً أفرزنى الرب من شعبه ، ولا يقل الخصى ها أنا شجرة يابسة .

٤- لأنه هكذا قال الرب للخصيان الذين يحفظون سبوتى ويختارون ما يسرنى ويتمسكون بعهدى .

٥- إنى أعطيهم فى بيتى وفى أسوارى نصبًا واسمًا أفضل من البنين والبنات . أعطيهم اسمًا أبديًا لا ينقطع .

٦- وأبناء الغريب الذين يقترنون بالرب ليخدموه ويحبوا اسم الرب ليكونوا له عبيداً كل الذين يحفظون السبت لئلا ينجسوه ويتمسكون بعهدى .

٧- آتى بهم إلى جبل قدسى وأفرحهم فى بيت صلاتى وتكون محرقاتهم وذبائحهم مقبولة على مذبحى لأن بيتى بيت الصلاة يدعى لكل الشعوب .

٨- يقول السيد الرب جامع منفيّى اسرائيل أجمع بعد إليه إلى مجموعيه .

هيكل جديد :

إن أشرق زمن الخلاص للمتقين اسم الرب وحافظى عهده ووصاياه تابعى الحق وفاعلى البر ومترجين اسمه كنبوة ملاخى « **لكم أيها المتقون اسمى تشرق شمس البر** » ، إن أشرق فإن شروقه سيملأ الدنيا نوراً ، لا لشعب ولا لأمة ولا لجنس ، بل للعالم أجمع فبيت الله « **بيتى** » لم يعد هيكلاً فى أورشليم لليهود ، بل بيت صلاة لكل الشعوب ولجميع الأمم لأنه هكذا أحب الله العالم .

وقد تميز زمن الخلاص بهذه الميزة إذ صار **السجود** لله ليس فى هذا الجبل ، ولا فى ذلك المكان ، بل الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق - والله طالب مثل هؤلاء الساجدين .

وقد تميز أيضًا أن بيت الصلاة هذا - أى الكنيسة الكائنة من أقاصى المسكونة - يأتى إليها المفديون فيفرحون (فى بيت صلاتى) .

فالكنيسة منذ البداية صارت **منبع الفرح** ... فالذين

قبلوا الايمان صار فيهم فرح لا ينطق به ... حتى الطعام كانوا يتناولونه بابتهاج ووعد المسيح قائم لا يقدر أحد أن ينزع فرحكم منكم .

ذبائح الهيكل الجديد .

أما عن الذبائح فى الهيكل الجديد فقد اختلف مفهومها تمامًا ... لم تعد بعد ذبائح دموية ، دم الثيران والعجول الذى لا يمكن أن يطهر ، لم يعد ذى قيمة إذ قدم المسيح نفسه وطهرنا بدم العهد الأبدى الذى بروحه الأزلى يطهر النية والضمير ويغسل أدناس الخطايا ، اسمع الكلام المكتوب « لا تنسوا فعل الخير والتوزيع لأن بذبائح مثل هذه يسر الله » .

« ذبيحة التسبيح – أى ثمر شفاة معترفة باسمه »

« لأنك لا تسر بالمحرقات ... الذبيحة لله روح منسحق » .

هكذا صارت الذبائح تقدم من تسبيح وصوم وصلاة وعطاء مرفوعة على مذبح القلب ، مقبولة كرائحة بخور مسنودة بالذبيحة الواحدة – ذبيحة الصليب ، الكائنة على المذبح كل يوم ... !!

ثمة أمر آخر الذى يميز هيكل العهد الجديد .

هو التكريس والبتولية .

فالخصيان هنا ليسوا من ولدوا هكذا ، ولا من خصاهم الناس لخدمتهم ، بل النوع الذى تكلم عنه المسيح قائلاً « يوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات » .

هؤلاء تنبأ عنهم أشعياء وخصهم الروح بكلمات النبوة هذه :

١- أنه يعطيهم نصيبًا فى أسواره ، فهم بحكم طبيعة التكريس صاروا حفظة لأسوار الكنيسة، حفظة للايمان ، وسهارى العمر كله للصلاة ، على أسوارك يا أورشليم أقمت حراسًا لا يسكتون كل النهار ولا كل الليل ، يا ذاكرى الرب لا تسكتوا ولا تدعوه يسكت إلى أن يثبت ويجعل أورشليم تسبحة ، فهم إن حفظوا دعوتهم وصاروا أمناء فى وزنتهم ، حفظوا ليس أنفسهم بل حفظوا الأمانة إلى جيل الأجيال .

وها التاريخ يشهد كيف صارت أديرتنا بآبائها العظام فى الماضى أكبر سند للكنيسة وحفظ ايمانها وطقوسها وعقائدها وأعيادها وألحانها وتكريم قديسيها ، كيف حفظوا التراث والنسكيات والتقليد المسلم ... حقًا لا

يمكن أن يتصور الانسان أن تكون الكنيسة بدون الرهبان المتبتلين الذين خصوا أنفسهم بالحق لأجل الملكوت ... أنها دعوة مقدسة إن أكمل المدعوون إليها حياتهم بحسب استحقاق دعوتهم ... ما أسعد الكنيسة بهم وما أحوجها إلى الأنقياء الأتقياء منهم الذين قيل عنهم « **يختارون ما يسرني ويتمسكون بعهدي** » .

هبات التكريس والبتولية .

٢- « نصيبًا واسمًا » ...

معروف على مستوى الجسد ، أن الخصي - لا يثمر ولا يلد نسلاً فإن انتهت حياته انتهى اسمه لأنه لم ينجب من يحمل اسمه فيصير كشجرة يابسة لم تثمر ، أو كأنها انقلعت من أصولها للموت فلم يعد لها بعد أثر ...

فهل يصير في الروح مثل ذلك للخصيان الذين خصوا أنفسهم لأجل الملكوت ؟ حاشا .

فإذا انتهت حياتهم بالنسبة للجسد ، فلم يثمروا ولم ينجبوا نسلاً يحمل اسمهم على الأرض فلهم وعد من السماء أن الرب يعطيهم اسماً أبديًا لا ينقطع .

تذكرهم الملائكة بفرح إذ هم أساتذة التوبة التي تفرح الملائكة .

وتذكرهم الكنيسة وأجيال المؤمنين ، إذ صاروا علامات على الطريق ونصباً تهدى الساعين نحو الخلاص ...

هل مات أنطونيوس ومقاريوس وباخوميوس ... ؟

حاشا ، فأسماؤهم تلمع فى السماء وعلى الأرض وسيرتهم ملء السمع والبصر ورائحتهم هى رائحة المسيح الذكية .

هل مات بولس الرسول ويوحنا الانجيلى وايليا النبى ويوحنا المعمدان ؟

كلا بل الذين خلفوا بعدهم عشرات الأولاد إلى أجيال كثيرة نسيتهم الأجيال ولفهم النسيان . أما هؤلاء فخلد تاريخهم الأبد وبلغت أقوالهم إلى الأرض كلها .

هكذا فى المسيح صار ابن الغريب ، ليس مفرزاً من جماعة الرب ، بل صار عضواً فى الجسد وصار الأمم شركاء فى الميراث ، ولم نعد بعد غرباء ونزلاء بل رعية الله مع القديسين وأهل بيت الله .

وهكذا صار فى المسيح أيضاً المتبتلون المكرسون الذين ليس لهم زرع جسدى ، صاروا آباء لنسل روحى باركه الرب .

أفرحهم فى بيت صلاتى .

وحين يجمع المسيح الكل فى نفسه ويصالح الجميع فى جسده عاملاً الصلح بدم صليبه ، وجامعًا البعيدين والقريبين ، وقاتلاً العداوة ، حينئذ يجمعهم للفرح ، قائلاً أفرحهم فى بيت صلاتى ، حيث تصير الصلاة هى ينبوع الفرح والبيت هو كنيسته المقدسة ملكوت الله على الأرض وهو بيت الصلاة لجميع الشعوب ، لجميع الأمم والقبائل والألسنة كما رآه القديس يوحنا الرائى فى السماء .

٩- يا جميع وحوش البر تعالى للأكل يا جميع الوحوش التى فى الوعر .

١٠- مراقبوه عمى كلهم . لا يعرفون . كلهم كلاب بكم لا تقدر أن تنبح . حالمون مضطجعون محبو النوم .

١١- والكلاب شرهة لا تعرف الشبع . وهم رعاة لا يعرفون الفهم . التفتوا جميعًا إلى طرقهم كل واحد إلى الربح عن أقصى .

١٢- هلموا آخذ خمراً ولنشتفَّ مسكراً ويكون الغد كهذا اليوم عظيمًا بل أزيد جداً .

كان حديث اشعياء متدفقًا من نحو مواعيد الله العظمى والثمينة وبركات الخلاص التى تنسكب بغنى من

السماء حتى على الغريب والخصى ، بل وعلى جميع الشعوب إذ يفتح الرب أحضانه على الصليب ويقبل كل أحد ، ويفتح بيته الذى هو مسكن مجده لجميع الشعوب قائلاً أفرحهم فى بيت صلاتى ، لأن بيتى بيت الصلاة يدعى لجميع الشعوب ، أى جميع أمم العالم بالاضافة إلى منفيى اسرائيل الذى يرد المسيح سبى أرواحهم .

يهيم اشعياء فى هذه المناظر والاعلانات ، وينخطف عقله إلى ما بعد الزمن الذى يعيش فيه محلقًا فى أجواء زمن المسيح ومواهب الروح القدس ، ثم فجأة يتحول ناظراً إلى أسفل فيجد واقع الشعب والكهنة والرعاة فى أيامه ... واقع مرير حقًا فينطق بهذه الكلمات قائلاً عن رعاة اسرائيل .

١ – مراقبوه عمى كلهم لا يعرفون .

هذه الصفة الأولى هى حق ... الذين جعلهم الرب رقباء للشعب قائلاً كما لحزقيال النبى « قد جعلتك رقيباً ... إذ رفعهم إلى مكانة عالية ليروا الآيات ويحذروا الشعب بكلمة الله ، يسمعونها من فمه ومعهم أبواق الكلمة للتحذير ... هؤلاء الرقباء صاروا عمياناً ... لشديد الأسف !!

تأمل قول الرب : « أعمى يقود أعمى يسقطان كلاهما فى حفرة » .

كم بكت الرب الكتبة والفريسين قائلاً « ويل لكم أيها القادة الجهال والعميان ... أيها الفريسى الأعمى » ... لقد أصابهم العمى مع الجهل وعدم المعرفة فعثروا فى المخلص وسدوا باب ملكوت الله فلا هم دخلوا والداخلون منعوهم.

٢ – كلاب بكم لا تقدر أن تنبح .

حتى التنبيه فقدوا القدرة أن يفعلوه ، وهنا قد تدنوا بحسب كلام الروح حتى إلى أسفل المدارك ، فعوض أن يكونوا رعاة للقطيع لم يرعوا ولم يسوسوا ولم يبذلوا ... بل وحتى عمل كلاب الحراسة لم يقدروا عليه ، فتم قول النبى فتشتت غنمى .

٣– حالمون مضطجعون محبو النوم .

عمل الرعاة الرئيسى هو السهر !! أما أولئك فكانوا رجال جسد وشهوات منطرحون فى النوم ، والنوم هنا هو نوم الغفلة ، نوم الضمير ، نوم الروح ، شبه الموت .

ولم يكن فقط يغلبهم النوم بل هم محبو النوم ، أحبوا الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة .

٤– التفتوا جميعًا إلى طرقهم كل واحد إلى الربح عن أقصى .

أو بتعبير حزقيال رعى الرعاة أنفسهم !! ألا يرعى الرعاة الغنم ؟

حتى بعد أن أكلوا السمين ولبسوا الصوف أى أخذوا خيرات القطيع لنفعهم الشخصى ورغم ذلك لم يرعوا الغنم ؟

هذه مأساة الرعاة حينما ينصرفون عن خدمة من أرسلهم إلى خدمة ذواتهم !!

أحبوا الربح القبيح الذى حذر منه القديس بولس الرسول فى شرطونية الذين يدعون للكهنوت المسيحى أن يكون « غير طامع فى الربح القبيح » بل يكون متعففاً ، محباً للعطاء مضيفاً للغرباء ...

فإن كانت هذه ملامح رعاة اسرائيل فى تلك الأيام ، فلتفرح الوحوش المفترسة ولتغتنم هذه الفرصة فيأتوا للافتراس بلا مانع وللقنص والصيد ، فالقطيع بلا راعٍ ، هو فريسة سهلة .

ما أعظم الشكر الذى يجب أن نقدمه إلى الله من أجل أنه صار هو الراعى الصالح الذى يبذل نفسه عن الخراف قائلاً « أنا أرعى غنمى وأربضها يقول السيد الرب » .



اشـــعياء ٥٧

١ – باد الصـــديق وليس أحـد يـضع فى قلبـه ورجـال الإحـسـان يضـمـون وليس من يفطن بأنه من وجـه الشـر يضم الصديق .

٢ – يدخل السلام . يستريحون فى مضاجعهم . السالك بالاستقامة .

الله يجمع مختاريه ...

كانت نهاية الاصـحـاح السـابق تنبئ بقـرب وقـوع الغـضـب الالهى وعـقـاب الخطاة من قـطيع بنى اسـرائيل التـائه في وديان الخطايا والمشـتت على جبال الكبـرياء بلا راع ولا رعاية ، فقد شبه رعاة بنى اسـرائيل بكلاب أصابها البكم فلا هى ترعى وتحرس ولا حتى تنبه بإنذار إلى وقوع الخطر ، بل أحبوا الربح القـبيح وجروا وراء ملذات الدنيا محبين للنوم الذى هو الغفلة الروحية فضاعوا وأضـاعوا القطيع من خلفهم .

وهنا يبـرز الروح القدس أحـد التدابير الالهـية فى مـثل هذه الأحوال إذ يسـبق الرب فيـضـم مخـتـاريه ، ويجمـعـهم قبل أن يحل العقاب كمـا قيل عند مجئ المسيح الثانى ، أنه يرسل ملائكته فيجمع مختاريه قبل وقوع الأهوال النهائية

لزوال العالم لكى لا يروا ضيق تلك الأيام .

يعلم الرب أن ينقذ مختاريه ، كمثل نوح ولوط ، يخرجهم خارج دائرة العقاب فلا يصيبهم أذى ولا يلحق بهم ضرر .

انتقال القديسين تنبيه وانذار للباقيين .

فإن وجدت الأبرار والصديقون ينتقلون ويضمون إلى الأخدار السمائية فأعلم أنهم ينضمون لكى لا يروا ما هو آت .

فوجود القديسين فى العالم هو لحفظ العالم كملح الأرض ونور للعالم . بسببهم وبوجودهم تتبارك الأرض وتنحدر النعم على العالم ، واختفاؤهم يعتبر نذير بوقوع كوارث وحلول العقاب !!

إن وجود لوط فى مدينة سدوم كان هو سبب بقائها ، ولو وجد عشرة أبرار فيها لما هلكت وكابدت عقاباً هذا مقداره !!

والطامة الكبرى هى عدم الإدراك وعدم الإحساس ، فالشر والعقاب صار على الأبواب وليس من يعى ولا من يشعر ، لذلك قيل يفاجئهم هلاك بغتة كالمخاض للحبلى فلا ينجون .

فالصديقون ورجال الإحسان والصلاح - فى ذلك الزمان - كانوا يُضمون تحت سمع الجميع وبصرهم ، ولا أحد يضع ذلك فى قلبه ، لم يكن لانتقال الأبرار أى أثر فى توبة أو رجوع أو إدراك صوت الإنذار الالهى ... كان نوم الغفلة قد أصاب الجميع .

أنظر كيف أن حياة الأبرار وموتهم يصير لحساب الله وخدمته ، فهم فى حياتهم مثل يقتدى به وفى موتهم إنذار للتوبة والرجوع ...

ما أجمل تعبير « يدخل السلام ... يستريحون » . إن انتقال الأبرار هو دخول إلى السلام ، دخول إلى فرح سيدهم ، خروج من عالم الشقاء ودخول إلى السلام الذى لا يشوبه كدر .

ثم يستريحون من أتعابهم وأعمالهم تتبعهم كما قيل فى سفر الرؤيا .

عن الصديق قيل يدخل السلام ... لأن الصديق يتعذب بالأعمال الأثيمة التى يراها .

وعن رجال الإحسان قيل يستريحون ... لأن رجال الإحسان يتعبون من أجل الرب .

٣- أما أنتم فتقدموا إلى هنا يا بنى الساحرة نسل الفاسق والزانية .

٤- بمن تسخرون وعلى من تفغرون الفم وتدلعون اللسان . أما أنتم أولاد المعصية نسل الكذب ؟

الحاكم العادل .

بعد أن يضم الصديق ورجال الاحسان ، المختارون والمنحازون إلى الله ، الذين أحبوه وعاشوا له وحفظوا وصاياه وأكملوا ناموسه .

يلتفت الرب كديان ، كاشف الأسرار ، منتقم من الخطايا !!

وكأن الأبرار عن يمينه يسمعون صوته المملوء فرحًا القائل « **تعالوا إلىَّ يا مباركى أبى رثوا الملك المعد لكم** » .

ثم يلتفت إلى الذين عن يساره فيسمعهم صوته المخوف يسمعونه برعدة ويقولون للجبال اسقطى علينا وللآكام غطينا من وجه الجالس على العرش .

هو ذات المسيح الواحد ، الديان الواحد ، كلى المراحم للذين يستحقون المراحم ، كلى الحب للذين أحبوه ، يمجد مختاريه ويمجدهم إلى الأبد . وفى ذات الوقت هو مخوف مرهوب ، يصير كنار آكلة أمام من جحدوه وأنكروه

ورفضوه وأحبوا العالم وأعطوه القفا لا الوجه .

لذلك يلتفت إليهم بغضب ويقول أما أنتم فتقدموا إلى هنا يا بنى الساحرة ونسل الفاسق والزانية .

والمذهل للعقل ، كيف تحول الشعب المختار ، نسل ابراهيم المدعو خليل الله وبنى الأمانة والحق ، الذين لهم المواعيد والعهود والناموس ومنهم الآباء والأنبياء ، كيف صاروا بنى الساحرة ونسل الفاسق والزانية .

ما أبشع الخطية وكم شوهت صورة الله وحطت الانسان وأورثته موارد التهلكة .

نعم للرب محاكمة مع شعبه ، ولو بعد حين وبعد أزمنة ، يعود ويطالب . وفى عتاب الرب الأول ومحاكمته يصرخ قائلاً :

بمن تسخرون وعلى من تفغرون الفم وتدلعون اللسان ؟ أما أنتم أولاد المعصية نسل الكذب ؟

صورة الرب يسوع المصلوب ...

والواقع أننا نجد هذه التعديات هى بعينها ما قدمها اسرائيل ليسوع المصلوب كما تنبأ المزمور ٢٢ وكما أورده الانجيليون - بدقة وتفصيل : كانوا يفغرون الفم ،

وينغضون الرأس ويسخرون بالقدوس ويقولون توكل على الرب فليخلصه ، خلص آخرين أما نفسه فلم يقدر أن يخلصها ... ولكن بمن كانوا يسخرون ويستهزئون ؟

بقدوس اسرائيل الجالس فوق تسبيحات الشاروبيم ، بالذى لم يعرف خطية ولا وجد فى فمه غش !!

والكلام يصرخ بالمفارقة الرهيبة فهم رؤساء الشعب والكتبة ورؤساء الكهنة حسب الظاهر ولكن الروح يدعوهم أولاد المعصية ونسل الكذب ... نعم لقد استدعوا شهود زور وزوروا القضاء وصادموا الحق وسفكوا دم البرئ ، لقد كانوا يصادرونه قائلين نحن نسل ابراهيم ولم نولد من زنى ، أما هو فكان يقول لهم لو كنتم أولاد ابراهيم لكنتم تعملون أعمال ابراهيم ، أنتم من أب هو ابليس ... ذاك كان من البدء قتالاً للناس ... وهو الكذاب وأبو الكذاب .

عيناه تخترقان أستار الظلام ...

بعد ذلك يعدد الديان كثرة الخطايا والانحرافات والميول إلى العالم قائلاً :

٥- المتوقدون إلى الأصنام تحت كل شجرة خضراء القاتلون الأولاد فى الأودية تحت شقوق المعاقل .

٦- فى حجارة الوادى الملس نصيبك . تلك هى قرعتك . لتلك سكبت سكيبًا وأصعدت تقدمة . أعن هذه أتعزى .

٧- على جبل عالٍ ومرتفع وضعت مضجعك وإلى هناك صعدت لتذبحى ذبيحة .

٨- وراء الباب والقائمة وضعت تذكارك لأنك لغيرى كشفت وصعدت . أوسعت مضجعك وقطعت لنفسك عهدًا معهم . أحببت مضجعهم . نظرت فرصة .

٩- وسرت إلى الملك بالدهن وأكثرت أطيابك وأرسلت رسلك إلى بعد ونزلت حتى إلى الهاوية .

١٠- بطول أسفارك أعييت ولم تقولى يئست . شهوتك وجدت لذلك لم تضعفى .

ونحن هنا لا نود أن نسهب فى شرح هذه الانحرافات ولا أن ندخل فى تفاصيلها التى تتعب النفس وتثقل الفكر ، ونكتفى بالاشارة إلى بعض الكلمات لأجل المنفعة الروحية ...

المتوقدون إلى الأصنام ... وهذا معناه اشتعال الانسان بالشهوات ، وهو وصف روحى لكل أعمال الفجور الذى يحرق كالنار ... ولكن ماذا ياترى تخلف النار بعد أن تخمد ؟ سوى تراب ورماد !!

تحت كل شجرة خضراء . اعتاد الوثنيون أن يبنوا أنصابهم على الجبال تحت الشجر ، حيث جمال الطبيعة ، وهكذا يحول الشيطان حتى مناظر الطبيعة التى يجب أن نمجد الله فيها – لخدمة أغراض النجاسة .

هذا الأمر يفرق بوضوح سلوك أولاد الله من أولاد العالم فأولاد الله تجذبهم الطبيعة لتمجيد الله إذ يرون أن السموات هى عمل يديه ، وهى تحدث بمجد الله ، وكمثل الثلاثة فتية القديسين حين سبحوا فى أتون النار بهذيذ الخليقة كلها ... بينما أولاد هذا الدهر الذين أسلموا أنفسهم للخطايا فإنهم يستعملون حتى عطايا الله الصالحة لخدمة النجاسة ...

القاتلون الأولاد فى الأودية ... البنون ميراث من الرب ، مغبوط هو الذى يملأ جعبته منهم كما يقول المرنم... فكيف صارت العادات الوثنية الشيطانية مقبولة لديهم ، لقد فقدوا التمييز ، فضحوا بأولادهم للأصنام ... فصار ثمر بطونهم للهلاك ، بدل أن يصيروا ورثة الحياة أورثوهم الموت !!

سكبت سكيبًا وأصعدت تقدمة .

السكيب والذبيحة هما عماد العبادة ومركز التقرب

إلى الله ، ولكن حينما ينحاز الانسان إلى العالم ويعمل عهداً مع الشر فلا بد للعهد من ذبيحة فتصير ذبائح الانسان لحساب العالم ، كمن يعبد العالم ، أو يعبد المال ، أو يتعبد للشهوات والجسد ، أو ... الخ .

وهكذا كل ملكات الانسان وممتلكاته يسكبها ويقدمها كأنها ذبيحة للشيطان ، ولا عجب فقد امتزجت عبادة الأوثان بتقديم الذبائح وسكب السكيب والتبخير ثم خضوع الجسد للشهوات المنحرفة وأعمال الزنى البغيضة، لذلك اعتبرت - والحال هذه - انها خيانة لله لا سيما لبنى اسرائيل المرتبطين بالله كما برباط زيجة روحانى فهو كثيراً ما كان يقول عن نفسه « رجلك ، بعلك، سيدك وهى كزوجة الصبا ، والعروس وأختى العروس ... » .

وراء الباب والقائمة وضعت تذكارك ... لأنك لغيرى كشفت ... وقطعت لنفسك عهداً معهم .

الباب والقائمة والعهد فى تاريخ الشعب ، كان يذكرهم بالخروج من أرض مصر ورش الدم والخلاص والعهد بالدم والانحياز إلى الله بالكلية فما بال الأمر تبدل إلى العكس .

لم يعدٍ لها أسرار بل كشفت ذاتها للعدو وذهبت وراء آخر ... نسيت عهدها مع المخلص والفادى ... ودخلت فى

عهد مع الشر والأشرار ، وبئس العهد يكون عهدها .

وسرت إلى الملك بالدهن ... وأرسلت رسلك ... ونزلت حتى إلى الهاوية ، صار لها ملك آخر ، تتزين له وتريد أن تسره وتطيعه وتخضع له ، ... وبهذا أعطت ظهرها لملكها الحقيقى .. من يفعل الخطية هو عبد للخطية ... أنتم عبيد للذى تطيعونه ... هكذا قال الرسول بولس .

وسعت وراء الخطية بقلبها ونفسها ، فانزلقت بها الطرق حتى إلى الهاوية !!

شهوتك وجدت لذلك لم تضعفي ... إن الشهوات إذا ملكت على الانسان تمده بطاقة وهمية فيندفع بقوة إلى مزالق الهلاك ، تشده الإغراءات الكاذبة ويدفعه الشيطان بيد خفيّة بكل عنف للانزلاق ... فلا يدرى الانسان إلا وهو ساقط وقد هوى من علوه الشاهق إلى جب الهلاك وظلمة الهاوية .

١١- وممن خشيت وخفت حتى خنت وإياى لم تذكرى ولا وضعت فى قلبك . أماَ أنا ساكت وذلك منذ القديم فإياى لم تخافى .

أصل الداء ... والدواء مقدم .

الروح هنا يضع أصبعه على أصل الداء ، والسبب المباشر لسلسة الخطايا والانحراف الذى أصاب الأمة كلها حتى وصلت إلى ما هى عليه ! وهو أنها ألقت عنها خوف الله .

خوف الله هو بداية الحكمة الروحية - مخافة الرب رأس المعرفة (أم ١ : ٧) .

يقول المرنم ... سمر خوفك فى لحمى ... فما دام الانسان فى الجسد يحتاج إلى مسامير الصليب لتسمر خوف الله فيه لتحفظه من الزلل .

قال ابراهيم أب الآباء لملك جرار عندما خاف منهم **« أنا قلت أنه لا يوجد خوف الله فى هذا المكان »** فيقتلونه ويأخذوا سارة امرأته .

فإذ نزع خوف الله من الشعب القديم حصل فى التعدّى والخيانة ، تأمل كيف صار الخوف من الله حافظاً ليوسف العفيف فى القديم حين قال **« كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله »** ...

هكذا تدل الخيانة التى خانتها الأمة التى اقترن بها

الرب وحسبها « زوجة الصبا » وعروسه المختارة ... تدل خيانتها على عدم خوفها من الله .

ولكن ماذا كان موقف الله منها ؟

اسمع الروح يقول « أما أنا ساكت وذلك منذ القديم » !!

حقاً أنه طويل الروح ، طويل الأناة .

ناظراً نظراً كثيراً ولا يلاحظ ، مفتوح العينين وكأنه لا يبصر !!

يتأنى عليها لعلها ترجع .

يطيل أناته لئلا يعاقبها بغضب .

هو لا يشاء موت الخاطئ ... يتأنى عليه .

١٢- أنا أخبر ببرك وبأعمالك فلا تفيدك .

عندما تفحص الأعمال أمام الله . هل يتزكى أحد ؟

فكم يكون الحال إذا فحصت الشكليات ومظاهر البر الفريسي الذى قد تفتخر به أورشليم ذلك الزمان ؟

لأنه إذ عدمت خوف الله انحدرت إلى الخطايا ولكن احتفظت ببعض الشكليات فى العبادة فى الهيكل وتقديم الذبائح بينما الحياة كلها منصرفة عن الله ، ظناً منها أنها تؤدى الفرائض ، فماذا يطلب الله منها ؟

قال الرسول بولس أن الأعمال ستفحص وتختبر بالنار !!

لذلك يقول الروح مخاطبًا أورشليم أن برها وأعمالها التى تتكل عليها لا تفيدها فى حال الدينونة حينما تفحص الأعمال أمام الله .

+ تأمل قول الفريسى فى صلاته غير المقبولة متكلاً على بره أنه يصوم مرتين ويعطى عشر ماله !! هل أفاده هذا الاتكال على البر الذاتى ؟

الموضوع إذا يحتاج إلى اكتشاف بر المسيح لكى يستر العرى والخزى ... فلا بأعمال برنا نتبرر بل متبررين مجانًا بنعمته وعمل روحه القدوس الذى يعمل فينا أن نريد وأن نعمل .

فصار لنا بر المسيح وأعمال الروح فينا وهذا يوقفنا أمام الله بلا لوم . فلسنا نتكل على بر ولا على أعمال البشر لأنه ماذا يحسب أمام اللّه-؟

بل الله هو العامل فينا ... لذلك من يفتخر فليفتخر بالرب .

الاتكال على الرب والرجاء به .

١٣- إذ تصرخين فلينقذك جموعك . ولكن الريح تحملهم كلهم . تأخذهم نفخة أما المتوكل عليّ فيملك الأرض ويرث جبل قدسي .

إذ انتزع منها خوف الله وخشيته تمادت فى أعمال الشر متكلة على كلام الكذب ، فإذا ما جاء زمان العقاب ودينونة الخطايا فإنها تطلب النجاة ، فتلجأ إلى الصراخ لمن يخلصها ... فهل نجد فى ذراع البشر خلاصاً ولا فى الرؤساء متكلاً ؟

حاشا ... ليس عندهم خلاص تخرج روحه فيعودون إلى ترابهم فى ذلك اليوم تهلك كافة أفكارهم ... طوبى لمن إله يعقوب معينه واتكاله على الرب إلهه ... حقاً ما أصدق كلمات هذا المزمور لذا يقول الوحى لأورشليم ... إذ تصرخين ... لا تجدى خلاصًا فى جموعك لأن الريح تحملهم ونفخة تأخذهم ، فلا تتكلى على الرؤساء ولا على بنى البشر التراب ... توكلى على الرب فيكون لك الميراث ... لا ميراث الأرض فقط بل وميراث جبل قدسى فى السماوات .

طريق الخلاص .

١٤- ويقول إعدوا إعدوا هيئوا الطريق . ارفعوا المعثرة من طريق شعبى .

١٥- لأنه هكذا قال العلى المرتفع ساكن الأبد القدوس اسمه فى الموضع المرتفع المقدس اسكن ومع المنسحق والمتواضع الروح لأحيى روح المتواضعين ولأحيى قلب المنسحقين .

أن ترفض الاتكال على الذات هذا هو بدء الخير الروحى !!

أن يخيّب امل أورشليم فى كل متكلها الذى اتكلت عليه... لا يبقى أمامها سوى المتكل الحقيقى ... ذراع الرب ويمينه التى تصنع القوة وتفعل الخلاص لذلك يلزم أن ترفع المعثرة !!

معثرة الكبرياء والاعتداد بالذات .

معثرة الخطايا والانحراف .

هنا يظهر طريق الخلاص .

فى بداية الجزء الثانى من نبوات اشعياء فى بداية الاصحاح الأربعين كان النداء الشهير عزوا عزوا شعبى

قال الرب للكهنة ... وها النداء عينه يتكرر مضاعفاً أعداوا أعدوا هيئوا الطريق .

كذات القول الذى نادى به يوحنا المعمدان هيئوا طريق الرب مستقيماً . وهنا يضيف : ارفعوا المعثرة .

هذا هو عمل رسل المسيح وكل من يخدم ملكوته .

أولاً : يهيئ الطريق ويعده قدام المفديين للعبور من الظلمة إلى النور ومن الموت إلى الحياة ومن الخطايا إلى البر .

الطريق واحد وحيد وهو المسيح القائل « أنا هو الطريق» الخادم والكاهن يعمل عمل الرسل الواحد ... يقدم المسيح للعالم (لسنا نكرز بأنفسنا بل بالمسيح) .

ثانياً : يرفع المعثرة من قدام النفوس .

العالم ملئ بالعثرات بل كما قال الرب لابد أن تأتى العثرات ، ولكن ويل لذلك الانسان الذى به تأتى العثرة .

من أعثر أحد هؤلاء الصغار المؤمنين بى فخير له أن يعلق فى عنقه حجر الرحى ويلقى فى البحر ...

فإن أعثرتك عينك اقلعها والقها عنك .

وإن أعثرتك يدك اليمنى اقطعها والقها عنك .

فقد ارتفع المسيح له المجد بالجهاد الروحى ضد العثرات حتى الاستعداد لقلع العين وقطع اليد بسكين الروح كختان دائم لا يكف عنه الانسان مجاهداً ضد الخطية حتى الدم .

ما أحوج خدام المسيح أن يقدموا الطريق للضالين خلوا من كل معثرة ... وليقوّموا الأيادى المسترخية والركب المخلعة لكى لا يعتسف الأعرج بل بالحرى يبرأ .

وليحفظوا قول الرب بفم اشعياء « إرفعوا المعثرة من طريق شعبى » .

✣ ساكن فى الأعالى وناظر إلى المتواضعات .

الله القدوس الساكن فى النور الذى لا يدنى منه الذى سماء السموات لا تسعه ، ارتضى أن يسكن مع المنسحق والمتواضع الروح ومنكسرى القلوب .

يرتاح الرب فى قلب المتضعين ؟

أليس هو القائل تعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب ؟

إنه يسكن هذه القلوب المتواضعة ليحييها .

طوبى للودعاء ، طوبى لمتواضعى القلوب .

العذراء القديسة مريم قالت فى تسبحتها الخالدة «أنزل الأعزاء عن الكراسى ورفع المتواضعين » وهى أقدر من عرف مقدار رفعة الاتضاع وكيف يسكن الله فى المتواضعين لأنه نظر إلى اتضاعها وسكن فى أحشائها .

١٦- لأنى لا أخاصم إلى الأبد و لا أغضب إلى الدهر. لأن الروح يغشى عليها أمامى والنسمات التى صنعتها .

أما سبب تعطف الله وعدم ديمومة غضبه ورجوعه عن سخطه فهو معرفته بضعف جبلتنا !!

يعرف أن الانسان مخلوق ضعيف .

ألم يقل الوحى بفم اشعياء « كفوا عن الانسان الذى فى أنفه نسمة لأنه ماذا يحسب » ؟

هذه النسمة ضعيفة غاية فى الضعف فماذا إذا وقفت مدانة فى حضرة القدير ؟ يغشى عليها ، بل تقول للجبال غطينا وللآكام اسقطى علينا من وجه الجالس على العرش .

لذلك إذ يعرف الله ضعفنا يتراءف علينا ولا يغضب علينا ولا يدوم غضبه إلى الأبد ، لأن من يستطيع الوقوف أمامه ؟

١٧ – من أجل إثم مكسبه غضبت وضربته . استترت وغضبت فذهب عاصيًا فى طريق قلبه .

١٨ – رأيت طرقه وسأشفيه وأقوده وأرد تعزيات له ولنائحيه .

١٩ – خالقًا ثمر الشفتين . سلام سلام للبعيد وللقريب قال الرب وسأشفيه .

٢٠ – أما الأشرار فكالبحر المضطرب لأنه لا يستطيع أن يهدأ وتقذف مياهه حمأة وطينًا .

٢١ – ليس سلام قال إلهى للأشرار .

✢ الربح القبيح .

تنبأ إرميا النبى قائلاً « لأنهم من صغيرهم إلى كبيرهم كل واحد مولع بالربح ومن النبى إلى الكاهن كل واحد يعمل بالكذب » .

فمكاسب وأرباح هذا العالم والأطماع وحب المال كل هذه خطايا وشرور تغرق الناس فى العطب والهلاك لأن محبة المال أصل لكل الشرور إذا ابتغاه قوم ضلوا عن الايمان .

من أجل هذا الإثم يقول الرب أنه غضب على اسرائيل

وضربه لا لكى يهلكه بل لكى يرده عن ضلال طريقه .

وستر الرب وجهه عنه كأب يغضب على ولده إذا زاغ عن طريقه ومال إلى الشرور .

فماذا كان من اسرائيل ؟ هل نفعه الأدب ورده الرجز؟

كلا بل كولد عنيد وعاصٍ غير مطيع ذهب عاصياً فى طريق قلبه .

ولكن الأب الحقيقى والراعى الصالح لا يرتاح حتى يرد إليه الابن الضال والخروف المفقود ... وفرحه يكون برجوعه إليه .

✢ لذلك يقول : رأيت طرقه وسأشفيه .

طرق الخطية هى طرق الموت .

رأى الرب طرق اسرائيل المعوجة إذ مال كل واحد إلى طريقه كغنم ضالة .

صار المسيح هو طريق الخلاص والنجاة « أنا هو الطريق » .

لذلك جاء ليجمع أبناء الله المتفرقين فى طرق ومتاهات هذا العالم .

والقول « رأيت طرقه » ... هو تماماً ما قاله الرب لموسى

« رايت عياناً مذلة شعبى الذين فى مصر » فهو يرى مذلتنا ويسمع أنيننا ولا يطيق أن نبقى فى سخرة أو هوان.

بل نزل ليشفى ارتدادنا .

وجرح ليشفى جرحنا المميت .

واتضع ليشفى كبرياءنا .

وتعرى على الصليب ليشفى عرينا .

وأخيراً مات لكى يقيمنا فنحيا معه .

وأقوده .

هو يقودنا فى موكب نصرته كل حين ... لأنه صار سابقًا لأجلنا ... بل أقامنا معه وأجلسنا معه فى السماوات.

وارد تعزيات له ولنائحيه .

فى رجوع الخاطئ تزداد التعزيات بدل النوح والقلب الطيب بدل الروح اليائسة يقول المرنم فى مزمور التوبة مز ٥٠ « رد لى بهجة خلاصك » ويقول الآب حينما قبل إبنه « إذبحوا العجل المسمن فنأكل ونفرح ... وبدأوا يفرحون » كما سمع أخوه الأكبر صوت آلات طرب

ورقص (لو ١٥) فحينما يرجع اسرائيل إلى حضن الله فكم تكون التعزيات من فيض الروح لأنه إن كان رفضهم صار مصالحة للعالم فكم يكون اقتبالهم إلا قيامة من الأموات .

خالقًا ثمر الشفتين .

ثمر الشفاه هو التسبيح وهى ثمرة الخلاص الأولى .

والروح هو الذى يخلق التسبيح ويفيض به فى القلب حينما يتمتع الانسان بنعمة الخلاص ... كما فى أيام موسى حينما عبر بالشعب بحر المعمودية والخلاص ... حينئذ سبح موسى وجماعة بنى اسرائيل للرب قائلين تعالوا نسبح الرب لأنه بالمجد قد تمجد ويسميها القديس بولس الرسول ذبيحة التسبيح أى ثمر شفاه معترفة باسمه .

والمرنم كثيراً ما كان يقول بشفاه الابتهاج كنت أباركك ، وبشفتى أظهرت كل أحكام عدلك .

وقيل أيضًا من أفواه الأطفال والرضعان هيأت تسبيحاً، فالروح هو الذى يهئ التسبيح ويفيض به فى قلب المولودين ثانية .

+ سلام سلام .

الثمرة الثانية من ثمار الخلاص هى السلام - السلام القلبى - السلام الفائق - سلام المسيح الخاص .

صنعه الرب بالصليب ... حين قتل العداوة به وصالح السمائيين مع الأرضيين ، بشركم بالسلام أنتم القريبين والبعيدين ... لذلك قال سلام سلام للبعيد وللقريب ... لليهود والأمم على حد سواء ، سلامى أترك لكم . سلامى أنا أعطيكم ... ليس كما يعطى العالم هى اذن عطية الله .

من هنا ندرك أن الثمرة الأولى « التسبيح » يخلقها الروح ويفيض بها فى القلب والثمرة الثانية السلام الروحانى هو أيضاً عطية الله .



اشــعياء ٥٨

الصوم والحياة بجسد المسيح

١- ناد بصــوت عــالٍ . لا تمسك . ارفع صــوتك كبــوق وأخبر شعبى بتعديهم وبيت يعقوب بخطاياهم .

٢- وإياى يطلبــون يومًا فيــومًا ويســرون بمعــرفــة طرقى كأمة عملت برًا ولم تترك قضاء إلهها . يسألوننى عن أحكام البر . ويسرون بالتقرب إلى الله .

٣- يقــولون لماذا صــمنا ولــم تنظر ذللنــا أنفســنا ولم تلاحظ . ها إنكم فى يوم صــومكم تــوجــدون مســرة وبكل أشغالكم تُسخَّرون .

٤- ها إنكم للخـصـومة والنزاع تصــومون ولتضربوا بلكمة الشر . لستم تصومون كما اليوم لتسميع صوتكم فى العلاء .

٥- أمثل هذا يكون صومًا أختــاره . يومًا يــذلل الانسان فــيه نفســه يحنى كالأسلــة رأسه ويفــرش تحتــه مــسحًا ورمادًا . هل تسمى هذا صومًا ويومًا مقبولاً للرب .

صوت الإنذار ...

ناد بصوت عالٍ ... ارفع صوتك كبوق .

هنا تكون كلمة اشعياء النبى ومناداته بصراخ كمن ينبه الغافل أو يوقظ النائم فى سبات عميق .

فقد تكون الكرازة بكلمات اللطف واللين ، وقد تحتاج أحياناً إلى كلمات التوبيخ والانتهار ونخس الضمير .

فإن كان الوحى يريد أن ينبه ويخبر الشعب بخطاياهم وتعدياتهم ، فالوقت إذاً وقت المناداة بالصوت العالى والنفخ فى بوق الانذار ليتحذر الشعب وهم إن سمعوا ... وإن امتنعوا .

مظهر الشعب ...

فمن جهة الشكل فالروح يقول إن الشعب حسب الظاهر يبدون كمتدينين ولهم منظر الأبرار وتبدو ظواهرهم مثل الصديقين كقول الرب ، فهم كما يصفهم الوحى هكذا :

١- إياى يطلبون يوماً فيوماً .

٢- يسرون بمعرفة طرقى .

٣- يسألوننى عن أحكام البر .

٤- يسرون بالتقرب إلى الله .

هذا هو الجزء النظرى الشفاهى ... كما قال « يظهرون أشواقاً » ، هذه أيضاً التى قيل عنها « هذا الشعب يكرمنى

بشفتيه » ... الحاجة ليست إلى كلام ... بل إلى عمل وحياة .

هل تنميق الكلام وزخرف الألفاظ هو الصلاة المقبولة لدى الله ؟

هل شكل الصلاة والتدقيق الناموسى فيها هو الذى يعطيها القوة والقبول ؟

هل شكل الصوم هو الذى يحرك قلب الله لسكب المراحم ؟

حاشا ... فإن الله ينظر إلى استقامة القلب وخلوص النية وما يتبع ذلك من تغيير السلوك ورجوع الانسان عن طريقه الردية وعن الشر الذى فى يديه .

معرفة دون تمييز ...

فهم حسب الظاهر يطلبون الرب ... ولكن بحسب الانسان الباطن مبتعدون عنه بعيداً وقلبهم ذاهب وراء كسبهم .

ويسرون بمعرفة طرقه ... معرفة العقل دون التنفيذ ، كمن تتحول الحياة الروحية عنده إلى عقلانيات ومعرفة دراسية وحفظ وتسميع دون أن تتحول هذه الأمور إلى خبرة .

يسألوننى عن أحكام البر ... مجرد أسئلة للمعرفة ، وليست أسئلة للحياة . ألا ترى معى اننا صرنا شركاء لمثل هؤلاء ... إذ كثرت المعرفة وازدادت بشكل ملفت وكأن نبوات دانيال النبى تتحقق فينا عندما قال عن آخر الأيام « والمعرفة تزداد » ، ولكن الايمان لا يزداد بل بالعكس يخبو كما قال الرب : ابن الانسان متى جاء ألعله يجد الايمان على الأرض .

يسرون بالتقرب إلى الله ... بحسب الظاهر من الصلوات والأصوام وتكميل الطقوس والأعياد ... وهم على حالهم من الخطايا والانحرافات ، يبكتهم ذات النبى اشعياء حين قال فى مستهل نبواته « أيديكم مملوءة دماً... لا تعودوا تدوسون دورى » .

لماذا صمنا ولم تلاحظ ؟؟

والسؤال الذى يجرى على لسان الشعب يقولون :

لماذا صمنا ولم تلاحظ نللنا أنفسنا ولم تنظر ؟

لقد ظنوا فى أنفسهم أنهم أكملوا البر وحفظوا الايمان وهم يتحيرون إذ لا يجدون استجابة لأصوامهم !!

والواقع أن الصوم قوة جبارة مقتدرة لدى الله إذا شفع بالصلاة فهو قادر على إخراج الشياطين ونقل الجبال

وشفاء الأمراض وصنع الآيات والعجائب هكذا صار الصوم والصلاة حينما مارسه القديسون .

أما إذا صام الأشرار أو صلى الأشرار ... فصلاتهم مكرهة وصومهم لدى الله لا يطاق ... إذ هم متمادون فى حياة الشر ومستمرون فى العصيان .

عيوب الصوم غير المقبول :

١- ها إنكم فى يوم صومكم توجدون مسرة .

المسرات العالمية والملذات الجسدية تفسد الصوم ، لأن الغاية من الصوم هى الحزن الذى بحسب مشيئة الله الذى ينشئ توبة للخلاص بلا ندامة فإن خلا الصوم من حزن التوبة عدم الفائدة المرجوة منه .

وأن صام الانسان وهو باحث عن مسرته وملذاته منهمكاً فيها فكيف يكون هذا صوماً مقبولاً ؟

٢- وبكل أشغالكم تسخرون .

السخرة هى أن لا تعطى الفاعل أجرته ، بل تتسلط عليه بقسوة فيعمل تحت التهديد وتسلب أجرته وهذا هو الظلم بعينه للمساكين . فإن كان الإنسان يصوم بينما هو فى حياته العمليه يمارس هذا الظلم نحو المساكين الأقل منه ، فهل يصير صومه مقبولاً لدى الله ؟

٣- ها إنكم للخصومة والنزاع تصومون ولتضربوا بلكمة الشر .

هذا هو الصوم المغرض ، ليس الغرض من الصوم هو التقرب إلى الله أو استرضاء وجهه ، بل صار الصوم ستاراً للشر ، فمنهم من يصوم لكى ينتقم الله له من أخيه ، أو منهم من ينادى بالصوم لحبك مؤامرة دنيئة كما فعلت إيزابل الملكة مع نابوت اليزرعيلى .

فهل يصير مثل هذا صوماً مختاراً أو مقبولاً ؟

٤- يومًا يذلل الانسان فيه نفسه ويحنى كالأسلة رأسه ويفرش تحته مسحًا ورمادًا .

هذا هو المظهر الخارجى الذى تمسكوا به جداً ... مظهر المذلة ولكن ليس جوهرها القلبى . يجلس الانسان على الرماد ولكن قلبه متعظم .

ماذا قال ربنا عن الصوم المقبول « أنت متى صمت اغسل وجهك وادهن رأسك لكي لا تظهر للناس صائماً بل لأبيك الذى فى الخفاء وأبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية » .

العيب هنا هو عيب الرياء البغيض الذى حذّر منه الرب قائلاً « متى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين

فإنهم يغيرون وجوههم لكى يظهروا للناس صائمين الحق أقول لكم أنهم قد استوفوا أجرهم » .

الصوم المقبول .

٦- أليس هذا صومًا أختاره حل قيود الشر . فك عقد النير وإطلاق المسحوقين أحراراً وقطع كل نير .

٧- أليس أن تكسر للجائع خبزك . وأن تدخل المساكين التائهين إلى بيتك . إذا رأيت عريانًا أن تكسوه وأن لا تتغاضى عن لحمك .

بعد أن كشف الروح عوار الصوم غير المقبول يعود يصحح بعمق مفاهيم الصوم ... ويعتبر اشعياء ٥٨ من أعمق ما أوحى به عن الصوم على مستوى الكتاب المقدس كله .

١- حل قيود الشر .

يبدأ الصوم المقبول لدى الله بهذه الحركة الروحية ... حل قيود الشر ، للصوم سلطان وقوة تستطيع أن تفك الانسان « **الرب يحل المقيدين الرب يقيم الساقطين** » .

فإن كانت للخطية قوة على ربط الانسان وتقييد حريته وطاقاته فإن للصوم قدرة على فك الرباطات وحل القيود .

فاختبار الصوم الأول وثمرته الأولى فى حياة الانسان هى الحرية والتحلل من القيود ...

فإن كانت ثمة عادات خاطئة ربطت الارادة ، أو إن كانت قد التفت حول الانسان رباطات ظلم أو حتى رباطات الموت مثل الأكفان ، أو تكبلت رجليه بقيود مثل السجين فى أعمال الظلم والظلام . وقد أهين من قوات الشر مقيدين إياه ... أن كان هذا أو ذاك **فالصوم الروحانى المقبول قادر بالنعمة أن يحل عن الانسان كل قيود الشر .**

٢ – فك عقد النير .

النير هو الخشبة التى تربط الثورين إلى المحراث ، تربطهما معًا بأن توضع على عنقيهما فلا يتحركا إلا سوياً لا يقدر أحد أن يتحرك بمفرده بل مرتبطاً بالآخر لأن النير يربطهما معاً .

ما أروع هذا التشبيه ، حين يرتبط الانسان بالعالميات ... يكون قد أحنى عنقه لنير العالم **فيربطه العالم** بهذا النير ... نير العبودية نير ثقيل قاسٍ ، فيعيش الانسان مستعبداً مغلوباً على أمره حيثما يسير العالم يتبعه هو وحينما شاء عدو الخير أن يسيره يسير ... إنه نير ثقيل وعبودية مرة .

الصوم الحقيقى قادر أن يفك عقد هذا النير عن رقبة الانسان فيرفع رأسه ، ويختبر معنى الحرية ... يسير ويتحرك ويعمل غير مرتبط بنير العالم ، وعوض قسوة نير العالم يختبر نير المسيح الهين « **احملوا نيرى عليكم لأن نيرى هين وحملى خفيف** » .

٣- اطلاق المسحوقين احراراً وقطع كل نير .

الخطايا لها هذه الأفعال السلبية فى داخل النفس ، فهى أقسى عبودية وأثقل نير وأشقى رباط ، إذا تمكنت الخطايا من النفس سحقتها إلى الذل والمذلة وسقتها كؤوس البؤس والشقاء ، وليس من عاش حياة الخطية إلا واختبر هذا وأقر به ...

قال ربنا يسوع « **من يفعل الخطية هو عبد للخطية** » .

أما المسحوقون فهم المذلولون والمهانون من العدو الشرير ، الذين طرحهم إلى أهواء الهوان ... أهان أجسادهم وأذل أرواحهم فصار فى سحق النفس والجسد معاً .

ما أروع الصوم حين يطلق المسحوقين أحراراً ويقطع بالجملة كل نير فلا يبقى منها شيئ ... هذه نعمة لا تدانيها نعمة أخرى .

حتى ولا رباط واحد

وقطع كل نير ... شبه أحد الآباء النفس البشرية ، بعصفور مربوط بعشرة خيوط ... فإن قطعت تسعة وأبقيت فقط رباطاً واحداً ... فلن يفيده ذلك شئ ... فهو ما زال مربوطاً لا يستطيع الطيران ...

لا تسمى حرية أن قطعت بعض القيود أو حللت بعض عقد النير عن النفس ، الحرية لا تسمى حرية إن كانت مقيدة بشروط ... جمال الحرية فى كمالها ... حرية كاملة ... لذلك قال قطع كل نير وبلا استثناء .

٧- أليس أن تكسر للجائع خبزك .

عنصر الرحمة هو أحد أساسات الصوم المقبول ، وفى ذات الوقت فإن الصوم يخلق فى الانسان قلبًا رحيمًا ، قيل فى الدسقولية أن الأسقف لا يأكل لحمًا لكى لا يتقسى قلبه ، فكثرة المآكل والملذات تغذى الذات وتغذى الكبرياء بينما النسك هو مدرسة الاتضاع والمسكنة . كسر الخبز للجائع على مستوى الجسد هو إطعام الجياع وعمل الرحمة مع ذوى الحاجة ... وهذا جانب عملى كقول يعقوب الرسول « **أن كان أخ وأخت عريانين ومعتازين للقوت اليومى . فقال لهما أحدكم امضيا بسلام**

استدفئا واشبعا ولكن لم تعطوهما حاجات الجسد فما المنفعة » يع ٢ : ١٥ - ١٦ .

ولكن أن كان أمر إطعام الفقير الجائع ضرورة ، فكم يكون أمر النفوس التى تكاد تهلك جوعاً من جهة الروح ... فالصوم المقبول لدى القدير يتكلم عنه قائلاً « أليس أن تكسر للجائع خبزك ؟ » .

كلمة الله هى طعام النفس الجائعة ... وجدت كلامك حلواً فأكلته « **يا ابن آدم كل ما تجده** » هكذا قال الرب لحزقيال النبى إذ امتدت إليه يد فيها كتاب مكتوب فيه أقوال الله .

قال الرب لأرميا ... ها قد جعلت كلامى فى فمك .

اذن على الشباعى والمتنعمين بدسم الكلمة الالهية وشبع الروح أن يحنوا بشفقة روحية على النفوس الجائعة .

جسد المسيح الكلمة هو غذاء الحياة الأبدية ... هو هو خبز الحياة النازل من السماء وتوجد نفوس تتغذى عليه ، وتشبع به فى بيت الآب بينما لسان حال الكثيرين يقول « **كم من أجير عند أبى يفضل عنه الخبز وأنا هنا أهلك جوعاً** » . كثيرون منا يكتفون بما هم فيه من شبع

بالتناول المتواتر والتمتع بشركة الافخارستيا ولا يبالون بالمحرومين والذين كاد الجوع يهلكهم ، وهم يسعون فقط لخلاص أنفسهم بينما يوجد أخوة لهم يهلكون جوعًا . الصوم شركة وإحساس بالآخر ... أن كنت فى شبع فاكسر للجائع خبزك ، خبز الشبع ... خبز الحياة الأبدية وادع المساكين إلى مائدة المذبح ليذوقوا طعم الحياة .

وتدخل المساكين التائهين إلى بيتك .

إضافة الغرباء . دعامة أخرى من دعامات الصوم المقبول ... قال عنها الرسول لا تنسوا إضافة الغرباء لأن بها أضاف أناس ملائكة وهم لا يدرون ، بل هى فضيلة مارسها الآباء كابراهيم ولوط وفتحوا قلوبهم وبيوتهم ...

بيتك والكنيسة .

وعلى مستوى الادراك الروحى فإن بيتك هو كنيستك ، هى حضن الآب ، وهى حظيرة الخراف الناطقة ، وتوجد خراف تائهة ، وأخرى مطرودة ، وبعضها مشتت على جبال الكبرياء وآخرون مفقودون فى وديان اليأس ، والصوم فى هذه الحالة هو حركة سعى نحو هؤلاء وأولئك لردهم عن طريق الضلال وارجاعهم إلى

البيت ، بيت الآب وحضن الآب ، فيفرح بهم فرح الآب الحنون برجوع الابن الضال الذى كان ميتاً فعاش .

إن رأيت عرياناً أن تكسوه وأن لا تتغاضى عن لحمك .

هذه ركيزة أخرى وفضيلة أساسية ملازمة للصوم ، وحسب المعنى البسيط أن تكسو العريان ، فيدفأ وتباركك حقواه كما هو مكتوب فى سفر أيوب ، وهذه لها مكافأة سعيدة فى قيامة الأبرار إذ يسمع الانسان من فم الرب **« تعالوا إلى يا مباركى أبى رثوا الملك المعد لكم منذ انشاء العالم لأنى ... كنت عرياناً فكسوتمونى »** .

وهذه الخدمة - خدمة كساء الفقراء لها تعزية خاصة اختبارية يعرفها الذين تحركت قلوبهم ويخدمون الرب ويتعرفون عليه فى حياة اخوته الأصاغر .

وإن كان لا غنى إطلاقاً عن خدمة حاجات الجسد ، ولكن على مستوى الروح تكون الخدمة أسمى وأكمل بمقدار ما تتسامى الروح عن الجسد ، هنا العرى يأخذ معنى آخر ... والكساء والستر يصير مختلفاً ، العرى عرى الخطايا ... وفضيحة الطبيعة الساقطة .

هذا ما اختبره أبوانا الأولان حين سقطا فأحسا بالتخلى والعرى ، وكان أول اختبار لهما بحنان الله بعد

السقوط ، هو ستر العرى حين صنع لهما الرب الاله أقمصة من جلد وألبسهما .

ومنذ ذلك لحين يتوق كل انسان وبلا استثناء إلى هذه النعمة ... نعمة الستر ويشكر الله عليها كل حين ويقول « نشكرك لأنك سترتنا » .

فإن تشبه الانسان بخالقه يصير ستار عيوب ، كما نسمع فى قصص آبائنا القديسين وبالأكثر القديس أبو مقار الكبير .

كم يصير الصوم ذا رائحة زكية إن اقترن بهذه النعمة « إن رايت عرياناً أن تكسوه » تستر عرى اخوتك .

وأن لا تتغاضى عن لحمك ... هذا الادراك الروحى العميق ، إنك إن رأيت عرياناً فلتعرف تماماً انه لحمك ... أى طبيعتك البشرية الساقطة .

فإن قلنا للذين يخدمون حاجات الجسد أن لا يتأففوا من الفقراء والمساكين ولا يزدروا بهم لأنهم اخوة المسيح . فنقول لخدام الروح لا تتأنف من خطية الخطاة ولا تتعالى وتتنكر كأنك أبر منهم كما فعل الفريسي بل بالحرى اتضع وأستر لأنه لحمك ... هى طبيعتك الخاصة وخطاياك الخاصة ولست بغريب عنها ... بل قد يسقط الانسان فى

ذات الخطايا التى كان يدين الآخرين عليها ، فإن رأيت عرياناً ... عراة اللصوص ، فتصرف على نحو ما فعل مخلصنا ... السامرى الصالح ... ولا تتغاضى عن لحمك... فإنه قريبك فاصنع معه رحمة .

٨- حينئذ ينفجر مثل الصبح نورك وتنبت صحتك سريعًا ويسير برك أمامك ومجد الرب يجمع ساقتك .

٩- حينئذ تدعو فيجيب الرب... تستغيث فيقول هأنذا ...

إذا مارست النفس الصوم المقدس كما يريده الرب فماذا تكون البركات والثمار التى تجنيها من وراء ذلك ؟ هذا ما يجيب عليه الروح قائلاً :

حينئذ ينفجر مثل الصبح نورك .

هذا الاشراق هو نور الروح القدس حينما ينير مصباح النفس فى الداخل ، إن فعل الصوم فى النفس مجرب وفاعليته وقوته معروفة . اسأل دانيال رجل الصوم والصلاة اسأل موسى رجل الصوم الأربعينى مكرراً . اسأل الثلاثة فتية القديسين رجال الصوم الذى يضفى حتى على الجسد بهاءاً أفضل من أطعمة الملك ، اسأل نحميا رجل الصوم ممزوجًا بالنوح والبكاء ، اسأل أهل

نينوى رجال الصوم الانقطاعى والرجوع إلى الله بكل القلب ... اسأل ملايين القديسين الذين مارسوا الصوم مقبولاً ساكنين فى الجبال والمغاير والذين قضوا العمر كله صوماً ونسكاً وعزوفاً عن كل مسرات الدنيا .

فى كل هؤلاء صدق الوعد الالهى ... حينئذ ينفجر مثل الصبح نورك ، حقًا استناروا ووجوههم لم تخجل ، استنار موسى حتى لمع وجهه فلم يستطيع بنو اسرائيل النظر إليه .

استنار الثلاثة فتية ببهاء نور الصوم والقداسة .

استنار دانيال ونحميا وأعطاهم الله نعمة لدى الملوك .

استنار أهل نينوى بنور رضا الرب بعد زوال الغضب .

صارت نعمة الله على القديسين لابسى الروح مثل نور مشرق على وجوههم مثل مقاريوس وأنطونيوس وابرآم وجورجى مصباحا البرية .

وتنبت صحتك سريعًا .

لم يكن الصوم أبداً يخص الجسد أو يعمل لحسابه ... الصوم عمل روحانى بالدرجة الأولى ، فالصحة هنا هى صحة النفس والروح إذ تشفى بواسطة الصوم من العلل

والأمـراض التي أصـابتهـا بسـبب التكاسل والخطايا ونيـر الجسد والعالم .

ويسير برك أمامك .

النور في الداخلُ ينفجـر مـثل الصـبح يهدى الخطوات ويدفع الانسان إلى السلوك في النور « **سيروا في النور ما دام لكم النور** ... » « النور فيكم » ، والبـر يجذب الانسـان سائراً أمـامه « **يرد نفسي يهديني إلى سبل البر** » ، فمـا عـادت أعمال البر مسـتغربة لدى الانسـان ولا هي غيـر طبيعية بل قد صارت متناغمة مع الحياة ... النور الذي في الداخل متآلف مع كل ما هو حق في الخارج يطلبه ويبحث عنه ويجد راحته فيه .

ومجد الرب يجمع ساقتك .

السـاقة هي مـؤخرات الجيـوش ، وهي غـالباً مـا تكون ضـعيفة ومسـتهدفة وكثيراً مـا يهاجمها العدو وكثيـراً ما ينال منها .

فإن كـان العدو لا يقوى على مـهاجمة المقدمة فهـو يتبع من الخلف إلى أن يهاجم الخطوط الخلفية الضـعيفة .

هذا تشبيه غاية في الاتقان والابداع .

فكثيـراً مـا يشكو الانسـان ولا سـيما السـائرين في

طريق الروح مما يسمى بالمؤخرات ... **الأجزاء الضعيفة** فهم فيما يحاربون العدو الشرير والخطايا « الكبيرة » فى المقدمات وينتصرون عليها ويكونون فى يقظة وصحو... بينما هم كذلك إذ بالشيطان ينال منهم فيما يشبه الفخاخ أو الثعالب الصغيرة ، أو الهفوات أو السهو ، أو الخطايا المستترة أو ... إلى ما يشابه ذلك بأنواع كثيرة.

فإن أتقن الانسان الصوم مقبولاً وحرص على ارضاء الله ، فإن نفسه تتقوى والنعمة الالهية تحيط به من كل ناحية من أمام فى مواضع القوة ومن الخلف فى مواضع الضعف على السواء ، لذلك قال أن مجد الرب يجمع ساقتك أى **تصير مؤخراتك** ليست فقط فى أمان بل يجمعها مجد الله محيطاً بها فلا يوجد فيك ضعيف أو متكاسل ، بل إن كانت المقدمات فى مجد فبالأكثر تصير المؤخرة إذ يقول لك تكفيك نعمتى لأن قوتى فى الضعف تكمل.

حينئذ تدعو فيجيب الرب تستغيث فيقول هأنذا .

إذا كان الصوم مقبولاً فكيف تكون استجابة الصلاة والتضرعات ؟

يستجيب لك الرب فى يوم شدتك ...

الصـديقون صـرخـوا والرب اسـتـجـاب لهم ومن جمـيع شـدائدهـم نجاهـم .

صـامـوا وصلوا فنقلوا الجبـال وأقـامـوا مـوتى وشـفـوا مرضـى وأخرجوا شياطين وأطفأوا قوة النار .

ولكن العـجيب جداً أنه يقـول تستـغيث فـيقـول هأنذا ، فـصـوت صـراخ الطفل لـه فى قلب الأم وآذانها شـأن وأى شأن ! فـهى تهرع نحو طفلهـا عند سمـاع صوت صـراخه ولا تعبأ بشـئ آخر بل تنفض يدهـا من كل شئ وحين تجد طفلهـا الصـارخ تحمله مهـمـا كـان متسـخـًا ، هكذا يكون صـراخ الصـديقين واستغاثتهم نحو الله... يهرع لنجدتهم ، ينهـض مـجنـًا وتـرسـًا ويقـوم لخـلاص شـعـبـه ، هم يستـغيثـون وهو فى الحال يقول هـأنذا . وهـى الكلمة التى يقولها الخـادم لمن يخدمه كما قالها صـموئيل لعالى الكاهن « هـانذا لأنك دعوتنى » .

ولا غرابة فى ذلك اسمع قول مـخلصنا « **ابن الانسان لم يأتِ ليخـدم بل ليخدم ويبذل نفسـه فدية عن كثيرين ... أنا بينكم كالذى يخدم** » فهو خادم خلاصنا بصليبه فكيف نصرخ ولا يستجيب ؟

٩- ... إن نزعت من وسطك النيـر والإيماء بالأصـبع وكلام الإثم .

١٠- وأنفقت نفسك للجائع وأشبعت النفس الذليلة يشرق فى الظلمة نورك ويكون ظلامك الدامس مثل الظهر .

شجاعة العمل الروحى .

متى قدمت النفس صوماً مقبولاً وبدأت هذا الطريق الروحانى فإنها تزداد وتنمو فى الاختبارات كمن انفتح أمامها باب السماء فالأمر يختص بملكوت سماوى وحياة أبدية لا حدود لها .

فى البداية كان الروح ينبه إلى حل قيود الشر وفك عقد النير ، وإذ تقدمت النفس فى الفضيلة فإنه يقول أن نزعت النير فقد حصلت النفس على قوة وتقدمت فى صعودها ، هذا ما تعبر عنه كلمة « نزعت » فهى تفيد العمل القوى الذى يخلو من الكسل أو الميوعة أو البطء بل يمتلئ من الشجاعة والسرعة .

والأمر يتخطى المحدودية فهو لا يطالب نفس واحدة بل يقول ان **نزعت من وسطك** ... فالأمر يختص بقداسة المجموعة ، الكنيسة ، لأنه متى كان فى وسطها حرام (نير العالم) فإن خبرة الانكسار أمام قرية عاى بسبب هذا الحرام الذى كان فى وسط اسرائيل هذه الخبرة باقية مسجلة للكنيسة إلى كل الأجيال .

ولكن انتبه كيف نزع يشوع هذا الحرام ... بلا شفقة .

هكذا يكون نزع النير من الوسط لكى تحصل الكنيسة على قوتها .

صورة النفس الأولى .

الايماء بالأصبع وكلام الإثم .

هو التعالى والعظمة الكاذبة وعلة الكبرياء البغيضة ، وهذه لا تستقيم ولا تتناسب بأى حال مع الصوم المقبول الذى يقود النفس إلى الاتضاع والمسكنة بل يعيد النفس إلى صورتها الأولى بشبه خالقها .

وأنفقت نفسك للجائع وأشبعت النفس الذليلة .

فى البداية قيل ... أليس أن تكسر للجائع خبزك .

أما الدرجة الأعلى فهى أن تنفق نفسك للجائع ... قل انها بذل النفس على مثال مخلصنا الذى أشبع الجياع خيرات ، أشبع النفوس الجائعة بجسده الذى بذله عنا قائلاً خذوا كلوا هذا هو جسدى الذى أبذله عنكم وعن كثيرين ...

أين لنا أن نشبع نفس جائعة ؟

ترى هل بإنكار الذات ووضعها لتقع مثل حبة الحنطة

تموت لتحيا وأن عاشت بعد موتها ففيها شبع سرور ؟

أم بتقديم المحبة التى على مثال الصليب ، التى لا تطلب ما لنفسها .

بل ما هو لآخرين فيشبع كل من يتعامل معنا من دسم المحبة ؟

شبع النفس وشبع الخبز

شبع النفس غير شبع الخبز ... الخبز للجسد ولكن طعام النفس آخر قالها ربنا يسوع « **لى طعام آخر لستم تعرفونه** » بينما افتكر التلاميذ شيئاً آخر وقالوا « **ألعل أحداً اتاه بشئ ليأكل** » .

النفوس الجائعة .

الروح يقول على النفوس الجائعة « النفس الذليلة » ، هذا تعبير يحتاج إلى هدوء وعمق لكى نفهم كيف نحس بالنفوس الذليلة ، هذه درجة عالية من درجات الصوم المقدس .

أما فن إشباع النفوس الذليلة فاسأل عنه الآباء النساك والقديسين الذين تملأ قصص بذلهم وإراحتهم للنفوس وإشباعهم للنفوس الذليلة ... تملأ الدنيا بأسرها ورائحة سيرتهم تعطر أجيال الكنيسة ببخور لا يخبو عطره أبداً .

يشرق فى الظلمة نورك ويكون ظلامك الدامس مثل الظهر .

لا توجد ظلمة على الإطلاق حيث يوجد الصوم بهذا المفهوم الروحى العالى ، لا محل للظلام ولا للظلم ... حيث يوجد الحب والبذل والاتضاع وإنكار الذات ، حيث يتسابق أعضاء الكنيسة مقدمين بعضهم بعضًا فى الكرامة حاسبين الآخرين أفضل من أنفسهم ، لا يطلب أحد ما لنفسه بل ما للآخرين ، الأقوياء يحتملون ضعف الضعفاء ولا يرضون أنفسهم .

كل واحد ينفق وينفق ، ويود لو يشبع النفس الذليلة بكسر ذاته وتقديم نفسه ذبيحة خلال المسيح .

فى كل هذا هل يوجد سلطان للظلمة ؟ حاشا .

بل إشراق شمس البر ، فتهرب الظلمة من الأعضاء ومن الجماعة لأنهم أبناء نور وأبناء نهار ، سالكين فى النور مبغضين أعمال الظلمة ...

هذه ثمرة الصوم المقبول استنارة ونور ، وهرب للظلام ... حتى الظلام الدامس (الناس الأكثر خطية) إذ يشرق عليهم النور يصيرون مثل الظهر ... ياللعجب ، ما

أرهب قوة الصوم أن كان يجوز مثل هذه الاختبارات العالية !

١١- ويقودك الرب على الدوام ويشبع فى الجدوب نفسك وينشط عظامك فتصير كجنة ريا وكنبع مياه لا تنقطع مياهه .

١٢- ومنك تبنى الخرب القديمة . تقيم أساسات دور فدور فيسمونك مرمم الثغرة مرجع المسالك للسكنى .

قيادة الروح .

فى مراعى الصوم تختبر النفس حياة التسليم ، وتترك دفة الحياة فى يد الروح ... والمثال الكامل هو حياة مخلصنا إذ قيل عن صومه « **اقتاده الروح إلى البرية** » فكلمة يقودك الرب ... كلمة نبوية كملت فى المسيح وتكمل فى كل من يختبر قيادة الروح فى برية الصوم .

يقودك من نصرة إلى نصرة ... لأن الحرب فى الصوم شديدة ولكن ذراع الرب تصنع القوة .

يقودك لأن المنحنيات فى برية الصوم خطرة ، بين ضربات اليمين والافتخار والإعجاب بالنفس ومحبة المديح والكرامة ، وبين صغر النفس واليأس والانحدار ... فمن يضمن سلامة النفس سوى قيادة الروح كلى الحكمة ؟

ويشبع في الجدوب نفسك .

لما صام مخلصنا صام في برية قحط مقفرة ولكنه صار صومه مصدر لشبع أبدى وعزاء لا نهائى .

وللصائمين يقول الروح « **يشبع في الجدوب نفسك** » فإن هم كفوا عن تعاطى أطعمة الجسد كأحكام الصوم وكفوا عن أن يعطوا الجسد حتى قوته الضرورى ، فهم إذاً أحياء ليس بقوت الجسد ، بل شباعى من مصدر آخر هو الذى يشبع ويقوت ويعطى المعيى قوة .

فالجدوب هى البرارى ، فإن أخذت على محمل الروح تصير قفر الروح والعوز الروحى الذى يعيش فيه العالم وأهل العالم .

فإن سلك الانسان الروحى صائماً فى العالم فليس فى العالم ما يشبع نفسه ، إذ كله طعام سم وماء مالح يقود إلى عطش أكثر ، فأمانة الله تقول إنه فى وسط العالم المقفر ، هو يشبع نفسك ويغذيها بالطعام الباقى للحياة الأبدية .

لقد قيل فى الأعداد السابقة « **أن أنفقت نفسك للجائع ، وأشبعت النفس الذليلة** » فإن عاش الانسان ممارساً الصوم ببذل النفس وإشباع النفوس الجوعى والذليلة ،

فما هى الثمرة المرجوة وما هو حصاد النفس ؟ وما هو جواب الروح ؟ إنه « **يشبع فى الجدوب نفسك** » .

وينشط عظامك فتصير كجنة ريا وكنبع مياه لا تنقطع مياهه .

ما أبهج الصوم الذى يجعل النفس هكذا فردوساً لله .

قال المرنم « **لم تختف عنك عظامى حينما صنعت فى الخفاء** » مز ١٣٩ .

فالعظام تشير إلى الأمور المخفية غير المعلنة ، كاختفاء عظام الانسان داخل لحمه .

هكذا يصير داخل النفس نشاط بفرح داخلى وتزهر فى الداخل الأمور التى اختبرها الآباء من حضور الله وحلوله داخل الانسان ، ونعمة السلام الروحانى والصفاء والفرح الذى لا ينطق به ، والتعزيات والأشواق والتضرعات ورؤية الأمور العالية والنظر فى السماويات... فتصير النفس فردوساً حقيقيًا . وينبوع الروح الذى تحدث عنه الرب يسوع مع السامرية ، الذى ينبع فى الباطن إلى حياة أبدية ، أنهار الماء الحى تصير داخل النفس .

طوبى لمن صام هكذا وأرضى الرب ، فأنعم عليه ببركات الصوم التى لا يعبر عنها .

ومنك تبنى الخرب القديمة .

الانسان فى عرف الروح ، هو مسكن للروح ، هيكل الروح ، فإن سكنه الروح القدس واستقر فيه يصير فى بهاء ومجد وكرامة كهيكل الله .

وأن سكنه الروح النجس فإنه يخربه ... راجع قصص الذين صاروا مسكناً للشيطان تجد من يصيح ويقطع نفسه بالحجارة ، ومنهم من ربط بسلاسل وكان يقطع السلاسل ، ومنهم من كان مجنوناً أعمى وأخرس ، ومنهم من كانت منحنية إذ ربطها الشيطان ، صور مختلفة للهدم والخراب فى قوى النفس والعقل والجسد والروح جميعاً .

والقديس بولس الرسول قال عن نفسه أنه بناء حكيم ، يبنى النفوس المنهدمة وقال عن المؤمنين ، أنتم فلاحة الله بناء الله .

وقال الرب لأرميا النبى حين أرسله ، يبنى ويهدم ... فهو يبنى النفوس بالتعاليم الصادقة وكلمة الله ويهدم حصون الشياطين والخطايا . والمؤمنون فى الكنيسة

مبنيون على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية .

فإن تمتعت النفس بشركة الصوم المقدس - فى المسيح يسوع - فصار صومها مقبولاً لدى الله ، فإنها تأخذ هذه البركة - بركة البنيان - فتعمل كل ما هو لبنيان الكنيسة وبنيان النفوس ، لا سيما التى خربها الشيطان ودمرتها الخطية فصارت كأنها خرب قديمة بلا ساكن .

فالصوم والصلاة لهما قدرة عجيبة على بناء النفس ، ليس فقط نفس من يصوم بل به تبنى الخرب القديمة أى يستخدمه الله لبنيان الآخرين .

تقيم أساسات دور فدور . فيسمونك مرمم الثغرة ، مرجع المسالك للسكنى .

من اختبر واشترك فى بنيان النفوس المسكينة ، وأقامها بالنعمة فى المسيح يسوع بحسب وعد الله القائل ، بعد هذا أرجع وأقيم خيمة داود الساقطة وأقيم أيضًا ردمها ... مشيراً إلى نهوض القيامة فى المسيح إذ أن الخيمة هى خيمة الجسد الذى أقامه المسيح بقيامته .

فالعمل الكرازى ورد الضالين وإقامة الساقطين ، هو عمل المسيح المخلص والفادى بالروح القدس ، هو العامل

فينا أن نريد وأن نعمل ، فإن سلمنا ذواتنا بالصوم والصلاة فإنه يستخدمنا كآلات نافعة وآلات بر .

فتقيم أساسات دور فدور إذ أن الحصاد كثير والفعلة قليلون ... دور كثيرة مهدمة ، مساكن بلا عدد صارت بلا ساكن بعد أن تركها الشيطان خربة ومخربة .

فإن أنهضت بالصوم المقبول نفسًا فإن شهوة قلبك تزداد لتعمل أكثر فتقيم أساسات نفس وراء نفس ، والأساس هو المسيح لأن الأساس القوى يقام على الصخر كما تكلم الرب عن البيت الذى لا يسقط الذى بناه الرجل العاقل .

١٣- إن رددت عن السبت رجلك عن عمل مسرتك يوم قدسى ودعوت السبت لذة ومقدس الرب مكرمًا وأكرمته عن عمل طرقك وعن إيجاد مسرتك والتكلم بكلامك .

١٤- فإنك حينئذ تتلذذ بالرب وأركبك على مرتفعات الأرض وأطعمك ميراث يعقوب أبيك لأن فم الرب تكلم .

أن عمل الانسان مسرته يوم السبت هو بمثابة اختلاس ما لله .

فالسبت هو للرب ، فإن صيّره الانسان لحسابه لعمل مسرته وممارسة أعماله الخاصة فقد سلب ما للرب .

الموضـوع اذن هـو الأمـانة والطاعـة لأوامـر الـله وحـفظ كلمتـه ووصاياه ، الأمر الذى فـشل فيه اسـرائيل قديماً ... حـتى قال عنهم الكتـاب شعـب لا أمانة فـيـهم فـقد عـصـوا الأوامر وكسروا الوصايا وجربوا الرب مرات ومرات ...

هـنا يـركـز الوحـى على تقـديس يوم الرب وكـيف أن الانسـان فـى صـومـه المقبـول يجـعل يـوم الرب ليس يومًا للنزهة والتسلية واللعب والمسرات العالمية ... بل يقول :

أكرمته عن عمل طرقك .

وعن إيجاد مسرتك .

والتكلم بكلامك .

فإن سألت كيف يُكرم الانسان يوم الرب ويقدسه ؟ فإن الجواب يكون : عندمـا تتحـول الأفعال السـابق ذكرهـا من حسـاب الانسان لحسـاب الله .

فإكرام يوم الرب يكون :

عـمـل طرق الرب « أعـدوا طريق الـرب قـومـوا طرقـه مستقيمـة » ، « سـراج لرجلى كلامـك ونـور لسبيلـى » ، « من كل طريق خـبـيث منـعت رجلـى » ، « كـربـة هـى الطريـق المؤدية إلى الحـيـاة » ، « طـوبى للرجـل الذى فى طريق الخطاة لم يمش » .

مسرة الله « السماء تفرح بخاطئ واحد يتوب » .

« ينبغى لنا أن نفرح ... لأن ابنى هذا كان ميتاً فعاش »

« هذه هى ارادة الله قداستكم »

«الله لا يسر بموت الخاطئ بل بأن يرجع وتحيا نفسه »

التكلم بكلام الله « فى ناموس الرب مسرته »

« وجدت كلامك فأكلته »

« كلمة الله حية وفعالة »

« أن كان يتكلم أحد فكأقوال الله »

هذه أمثلة لتحويل يوم الرب إلى يوم عمل وصايا الله والسعى فى طريق الخلاص والشبع بكلمة الله ... فإن اقترن الصوم المقبول بهذا السلوك الروحي ، فما هى ثماره ؟ ... اسمع ما يقوله الروح :

الثمرة الأولى

✢فإنك حينئذ تتلذذ بالرب

لقد انتقل الانسان بالكلية من انسان الحواس الجسدانية - بالصوم المقبول والصلاة المرضية - انتقل وتحول إلى انسان الروح ، وكأن الصوم والصلاة فى المسيح هما فردوس النفس قد عادت إليه وهى خليقة

جديدة لها إمكانية أن تتلذذ بالرب ... أنها ليست مجرد عبادة ولكنها عشرة عجيبة تتلذذ النفس فيها بمسرات لا توصف ولا يعبر عنها ولا يسوغ لانسان أن يتكلم عنها ، هى باختصار خبرة آبائنا القديسين والشهداء والأبرار ، حينما مارسوها وعاشوا فيها استغنوا بها عن كل مسرات الجسد وملذاته وعن كل مجد الدنيا فلم يعودوا يشتهوا شيئًا ولم يعتازوا حتى للأب والأم والأخ والصديق ... بل تلذذوا بالرب واكتفوا بعشرته فوق كل شئ .

الثمرة الثانية .

✥وأركبك على مرتفعات الأرض .

من جهة « أركبك على مرتفعات الأرض » معناها أن يرفع النفس إلى فوق ...

فوق كل شهوة ورغبة .

فوق كل مجد وكرامة .

فوق كل صيت وغنى .

فوق كل احتياج وعوز ... وبالجملة فوق كل ما فى الأرض وكل من فى الأرض .

وهذا نص ما قاله القديس أغسطينوس « وضعت قدمى على قمة هذا العالم » .

ومن جهة أخرى فهذا سلطان أولاد الله ، فحين يركبهم على مرتفعات الأرض تخضع لهم كل الخليقة إذ هم مرتفعون بالمسيح ومترفعون عن كل الدنايا.

أضف إلى ذلك أنه حين تركب على مرتفعات الأرض ، تصغر الدنيا كلها فى عينيك تصير تحت قدميك ، وتصير أملاك الدنيا صغيرة وحقيرة ...

فطوبى للنفس التى يرفعها المسيح حيث هو جالس ، يرفعها بالصوم فترتفع حقاً .

الثمرة الثالثة

✤ وأطعمك ميراث يعقوب أبيك

فإن كان غاية بنى اسرائيل الجسدية المادية صارت أرض الموعد ، أرض الميراث ، أرض تفيض لبناً وعسلاً ، أرض كروم ونخيل ، أرض ترابها نحاس وأرض كنوز ، أرض راحة وأشجار كروم وزيتون ، أرض يعتنى بها الرب الهك .

فإن كانت هذه أحلامهم التى سقطوا من أن يعيشوها بسبب التعدى بل سقطت جثثهم فى القفر .

فإن ما فشل اسرائيل فى الحصول عليه جسدياً ، حققه لنا المسيح - اسرائيل الجديد الروحى - حققه لنا فى شخصه بالروح القدس .

فصرنا ورثة الله وارثون مع المسيح ، وصار ثمر الفردوس الحلو هو طعام القديسين فى المسيح يسوع ... يطعمهم بيده وهم تائهون فى البرارى والقفار معتازين مكروبين مذلين بحسب الظاهر . كفقراء وهم يغنون كثيرين « كأن لا شئ لنا ونحن نملك كل شئ » .

ويسقيهم ويروى نفوسهم العطشى من فيض دمه الغالى الثمين المتفجر من جنبه كصخر الدهور .

ليس جوعاً بل شبع !!

فإن كان جوع الصوم يكافأ من المسيح بالإطعام « أطعمك ميراث يعقوب » فيا جلال الصوم وياغنى المكافأة ... فهو اذن ليس جوعاً بل شبع ، وليس عطشاً إلى ماء بل ارتواء !

فكل ميراث يعقوب ، أى ميراث القديسين المكملين فى السموات ، تستأمن عليه النفس الصائمة فى المسيح وبالمسيح ... أليس هو الوارث الحقيقى !؟

لأن فم الرب تكلم ...

أى أن هذه المواعيد العظمى والثمينة قد خرجت من فم الرب ، فهى ثابتة وصادقة وأمينة ، تزول دونها السموات والأرض ، وهى تبقى . فما بالنا متكاسلين ومتوانين ، ولماذا لا نقيس أصوامنا إلى كلمته ونصحح ما فسد منها ، ونقدمها ذبيحة مقبولة مرضية ومقدسة وننال بحسب وعده الصادق هذه الثمار التى تشتهى الملائكة أن تطلع عليها .



اشـــعياء ٥٩

الحاجة الشديدة للمسيح المخلص

١- ها أن يد الرب لـم تـقـصـر عن أن تـخـلص ولـم تـثـقـل أذنه عن أن تسمع .

٢- بـل آثامكم صـارت فـاصـلـة بينكـم وبين إلهكم وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع .

٣- لأن أيديكم قـد تنجـست بالـدم وأصـابعـكم بالإثم . شفاهكم تكلمت بالكذب ولسانكم يلهج بالشر .

✣ الرب يعلم أفكارنا ...

إذ يصـرخ الشـعـب فـى أزمـنة الضـيق ، فـلا من يسـمـع وليس من مجيب !!

وإذ يصوم ويقول ذللنا أنفسنا ولم تلاحظ !

وإذ ينتظر خـلاصًـا من يـد الأعـداء ويتطلـع إلى يمين الرب الصانعة قوة فلا من ينقذ ولا من يخلص !

إذ يصـيـر الحـال هكذا يزرع العـدو أفكاره فـى أذهـان الشـعب لإضعـاف الايمـان والشكـوك مـن نحـو الله قائلاً ؟

اين إلهك الذى اتكلت عليه هل قدر أن يخلصك ؟

أين الصلوات والصراخ هل سمعك ؟

أين الأصوام والتذلل هل نظر إليك أو لاحظ تذللك ؟

✥ يد الرب ...

لهذا يجيب الروح على هذه الشكوك مرجعاً الأمر إلى أصل الداء قائلاً :

ها أن يد الرب لم تقصر عن أن تخلص ولم تثقل اذنه عن أن تسمع وها قصص الخلاص متواترة تعلن عن يمين الرب المعتزة بالقوة ، المنشفة البحر الجاعلة طريقاً للمفديين ، التى قادت الشعب فى خلاء موحش تطعمهم من السماء وتسقيهم من صخرة صماء ، وحتى ثيابهم لم تبل ونعالهم لم تتهرأ !!

يد الرب كانت مع يوسف ، ويمينه صيرها ليعقوب ، كم كانت قوية ومقتدرة .

يد الرب كانت مع موسى وعظمته الشديدة أراه إياها .

يد الرب كانت مع يشوع وبقوة عظيمة كانت تسنده .

يد الرب كانت مع صموئيل وداود وشمشون وجدعون و ...

فهل قصرت عن أن تخلص بقليل وبكثير ، بضعف وبقوة ؟

حاشا لم تقصر يده عن أن تخلص .

✥ **الرب يسمع :**

وهل ثقلت أذنه عن أن تسمع ؟

حين صرخ إيليا قائلاً استجبنى ... يوم أن قتل أنبياء البعل وبنى مذبح الرب المنهدم وجعل عليه الذبيحة المحاطة بالماء على رسم الثالوث القدوس التى هى رمز لذبيحة الصليب ... صرخ قائلاً استجبنى فنزلت نار من السماء ، أكلت الذبيحة ولحست الماء ... فهل ثقلت أذن الرب عن السماع ... حاشا إنه يستجيب .

✥ **يستجيب إلهى ...**

قال المرنم أمل أذنك يارب واستمع لى ، وقال يستجيب لك الرب فى يوم شدتك ، سمع الرب ... وكتب سفر تذكرة .

لتدن وسيلتى قدامك – تدخل طلبتى إلى حضرتك .

فى اليوم الذى أدعوك فيه استجب لى سريعاً .

يسمع الرب صوتى ويخلص نفسى بسلام :

فعين الرب ناظرة إلى الصديقين وأذناه مصغيتان إلى طلبتهم ...

أما الخطاة ، فحين يبسطون أيديهم فإنه يستر وجهه ، وحين يكثرون الصلاة لا يسمع ، وحين يصرخون لا ينظر إلى صراخهم .

المسكين (بالروح) صرخ إلى الرب فاستجابه .

أما صلاة الأشرار فمكرهة ...

صلاة الأبرار رائحة بخور . لتستقم صلاتي كالبخور قدامك .

✣ مراجعة مطلوبة :

هكذا لنراجع أنفسنا إن امتنع خير الروح وسكيبه عنا ، وإن صارت صلاتي إلى حضني ترجع ، وإذا كف الرب عن استجابة الصلاة وصارت أحوالنا كمن ليس له معين ولا شفيع ولا مخلص .

فلنراجع اذن أنفسنا فالعيب دائمًا فينا ، والسبب هو كثرة خطايانا قد صارت فاصلة بيننا وبين الهنا . خطايانا منعت الخير عنا ، خطايانا سترت وجه الرب عنا ... صارت فاصلاً ... حجبت الصلاة عن أن تتصل بالسماء وحجبت البخور عن أن يرتفع إلى فوق ...

✣ الحواس :

أيديكم تنجست بالدم وأصابعكم بالإثم . شفاهكم

تكلمت بالكذب ولسانكم تكلم بالشر .

ها كل الحواس صارت تخدم الخطية ، فيا ويل الانسان حين يصير خادماً للشيطان !!

فى بداية نبوات اشعياء فى الاصحاح الأول قال الرب بفمه لا تعودوا تدوسوا دورى ... أيديكم ملآنة دماً .

دم الأبرياء يصرخ أمام الله من أيام هابيل الصديق .

✥ تغلغل الضعف :

وحين يقول الروح بالتخصيص أيديكم ثم اصابعكم ، وشفاهكم ولسانكم معناه أن الخطية ملكت وتغلغلت على الأفعال والأقوال معًا فى كلّيّاتها (أيديكم) وجزئياتها (أصابعكم) .

✥ مستوى الأعمال :

وعلى مستوى الأعمال تلطخت الأيدى بالدم وهو أقصى ما تستطيع أن تقترف أى هى قمة أعمال الشر - سفك الدم - ثم عمل الإثم والمعصية . ومن جهة الأقوال فالكذب هو أدنى خطايا اللسان ، لأن الشيطان هو الكذاب وأبو الكذاب كقول الرب .

✥ لماذا حجب الهى وجهه ؟!

هكذا يكشف الروح عن مستوى الانحطاط الذى انحدر

إليه الشعب من جهة الأفعال والأقوال جميعاً !!

وهذا هو السبب الرئيسى لا نحجاب وجه الرب ، وهو الذى صار فاصلاً وحاجزاً للخير عنهم .

٤- ليس من يدعو بالعدل وليس من يحاكم بالحق . يتكلون على الباطل ويتكلمون بالكذب . قد حبلوا بتعب وولدوا إثمًا .

٥- فقسوا بيض أفعى ونسجوا خيوط العنكبوت . الآكل من بيضهم يموت والتى تكسر تخرج أفعى .

٦- خيوطهم لا تصير ثوبًا ولا يكتسون بأعمالهم . أعمالهم أعمال إثم وفعل الظلم فى أيديهم .

٧- أرجلهم إلى الشر تجرى وتسرع إلى سفك الدم الزكى . أفكارهم أفكار إثم . فى طرقهم اغتصاب وسحق .

٨- طريق السلام لم يعرفوه وليس فى مسالكهم عدل . جعلوا لأنفسهم سبلاً معوجة . كل من يسير فيها لا يعرف سلامًا .

فاحص القلوب ومختبر الكلى ووازن أرواح البشر يعرف ما خفى فى أعماق الانسان ولا تخفى عنه عظام الجنين فى الحشا بل كل شئ مكشوف وعريان أمامه

فماذا إذ صارت الأعمال الظاهرة والضمائر المخفية مهلهلة بالخطايا ؟

كيف يظهر الانسان أمام الله وبماذا يجاوب ديانه وخالقه ؟

تقشعر السموات وتبهت جداً جميع القوات السمائية من هول شرور البشر ، وهنا فى هذه الآيات مزيد من النور كاشف المستورات :

١ – ليس من يدعو بالعدل .

غياب الكرازة بالحق وقلة الكارزين بالعدل كغياب النور ، أو انعدام الهواء . وهذا معناه أن الباطل صارت له الأغلبية وقد جرف التيار حتى المنادين بالعدل ... وهذه علامات أزمنة الدينونة أنه يضل حتى لو امكن المختارين .

٢ – ليس من يحاكم بالحق .

هذه خطية الرؤساء وقادة الشعب حين زاغوا عن الحق فى حياتهم الخاصة وأعمتهم الرشوة والأخذ بالوجوه فحرفوا حق اليتيم والأرملة كقول الكتاب ... ولم يعلموا أن الرب نفسه هو أب اليتيم وقاضى الأرملة وهو الذى يرفع دعواها وهو الحق ذاته . فإن تغاضوا عن الحق

تغاضوا عن الله ... ونسوا أن الرب في الوصايا قال مبرئ المذنب ومذنب البرئ مكرهة عند الرب .

٣- قد حبلوا بتعب وولدوا إثماً .

أن الشهوة إذا حبلت تلد خطية والخطية إذا كملت تنتج موتاً هكذا يقول الروح بفم يعقوب الرسول .

والتعب الملازم لفعل الحبل والولادة كان أصلاً بسبب دخول الخطية إلى العالم ، ومن قبل الخطية صار الموت **، تكثيراً أكثر أتعاب حبلك ،** ويوم أن تأكل موتاً تموت ... لأنك تراب وإلى تراب تعود .

فماذا تكون ثمرة الخطايا الأكثر مرارة ... ولادات بالتعب وحبل بالوجع والحصاد هو موت محقق .

٤- فقسوا بيض أفعى .

الحية القديمة هو الشيطان ، فهل صار الشعب تحت سلطانه إلى هذا الحد ؟

حتى أطفالهم المولودين منهم كأنهم أبناء الشيطان !! ياللحسرة . هل يجتنون من الشوك تيناً ؟

هذا أمر جد خطير ، جدير بالاعتبار ، فإما نحيا حياة القداسة فنثمر ثمراً للحياة الأبدية ، أو العكس .

٥- نسجوا خيوط العنكبوت .

كما قلنا لقد أتت الخطية ووقع ظلها على كل الأفعال ودنس كل الأعضاء ، الفم والشفاه والعين واليد والرجل ، ثم الولادة والموت وما بينهما من أفعال وتصرفات صارت أثيمة ...

وهنا يشير إلى ما يلبسه الانسان يستر به نفسه ، فى بدء الخليقة حاول أن يستتر بورق التين ، وهنا صار نسيجهم خيوط واهية لا تستر ولا تحاك ... المستتر بها عريان عريان ، والواقع أن النسيج هو أعمال الانسان على مدى الأيام والليالى فى سنى غربته على الأرض ، فإن عاش فى الباطل وانغمس فى الشهوات وتلهى بلهو العالم فماذا يكون حصاد السنين سوى هباء وضياع فى ضياع .

٦- الآكل من بيضهم يموت .

كل من يأكل من ثمر الخطايا تصير فيه أجرة الخطية حتمية وهى الموت ، أى أن حياتهم صار فيها سم الموت لكل من يقترب منهم أو يتحد بهم أو يغتذى ببيضهم أو يتبع أهوائهم .

٧- خيوطهم لا تصير ثوبًا ولا يكتسون بأعمالهم .

أعمالهم أعمال إثم وفعل الظلم فى أيديهم .

فكيف يسترون أنفسهم أمام أعين الناس ... ؟

والطامة الكبرى التى يقع الانسان فريسة لها هى التزييف !!

فهو ينسج خيوط العنكبوت ليستتر بها ... من قدام ذاك الذى عيناه تخترقان أستار الظلام لأن كل شئ مكشوف وعريان أمامه . يالتعاسة الانسان السائر فى أوهام وغرور الخطايا والآثام !

٨- أرجلهم إلى الشر تجرى وتسرع إلى سفك الدم الزكى .

أفكارهم أفكار إثم ، فى طرقهم اغتصاب وسحق وطريق السلام لم يعرفوه وليس فى مسالكهم عدل . جعلوا لأنفسهم سبلاً معوجة ...

هذا الوصف للحال التعسة التى صار إليها الشعب ، والتى لا يوجد دونها ... كررها الروح بالحرف الواحد على لسان القديس بولس الرسول فى الاصحاح الثالث من رسالته إلى أهل رومية ليدلل بها على زيغان الانسان ... كل الانسان سواء كانوا يهوداً او امماً . وهو وصف للحال حين تملك الخطية وتهيمن على قدرات الانسان وتطفى

رائحتها النتنة لتنبعث من كل الأعضاء ومن كل الأفعال وهى رائحة الموت وسماجته .

ثم عرج القديس بولس الرسول إلى عدم نفعية الناموس لخلاص هؤلاء .

وأنه ظهر بر الله بالايمان بيسوع المسيح ليتبرر الذين هم من الايمان ويصفح عن الخطايا السالفة .

وهنا نخلص إلى القول بأن حال الانسان والتى تصفها بالتفصيل الآيات السابقة ، هى الحاجة الشديدة إلى المسيح المخلص والذى بموته وصليبه سحق الشيطان ورفع عن الانسان موت الخطايا .

جعلوا لأنفسهم سبلاً معوجة كل من يسير فيها لا يعرف سلاماً .

قال اشعياء النبى فى اصحاحه المشهور عن آلام الرب ... كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد إلى طريقه، حقاً تشعبت مسالك الهلاك أمام الانسان وكلها أحدرته إلى الهاوية وأوردته موارد التهلكة كل واحد اختط لنفسه منهجًا ، وكل واحد استحسن طريقه للحياة بحسب هواه... ثم ماذا كانت النتيجة : ضلال فى ضلال .

وكل من سار فى طريق نفسه واتبع هواه ... لم يعرف سلامًا .

إلى أن جاء الذى قال أنا هو الطريق والحق والحياة ... وكل من آمن به وتمسك به واتحد به وعاش له ، عاش الحياة والحق وتمتع بسلام وفرح لا ينطق به ومجيد .

كفانا اختراع طرق وسبل لا جدوى من السير فيها .

هل نسير فى الطريق الذى ليس بأحد غيره الخلاص .

٩- من أجل ذلك ابتعد الحق عنا ولم يدركنا العدل .

ننتظر نوراً فإذا ظلام . ضياء فنسير فى ظلام دامس .

١٠- نتلمس الحائط كعمى وكالذى بلا أعين نتجسس.

قد عثرنا فى الظهر كما فى العتمة . فى الضباب كموتى .

✣ النور والظلمة :

قال ربنا يسوع لجماعة اليهود سيروا فى النور ما دام لكم النور لئلا يدرككم الظلام ... والمسيح هو نور العالم ، وهو النور الحقيقى الذى يضئ لكل انسان ، فعدم التمتع بالنور هو الظلام بعينه ولا بديل .

فإذا انحدر الشعب فى الخطايا وغرق فى الآثام التى ذكرت فى الآيات السابقة بالتفصيل فهم حتماً يعيشون فى الظلمة وظلال الموت .

لذلك يقول ، من أجل ذلك ابتعد الحق عنا ، أى من أجل الخطايا والسير فى الطرق المعوجة وخضوعهم لروح الظلمة ابتعد الحق عنهم وصاروا غرباء عنه لا حق ولا عدل .

ولك أن تتصور تعاسة النفوس السالكة فى الظلمة حيث لا بصيص من نور ولا سراج الكلمة يهدى الخطوات ، فإنهم يتلمسون الحائط كعمى بل أنهم يعثرون فى الظهر كما فى العتمة .

الأمر الجدير بالانتباه أن الانسان بانحراف إرادته يبتعد عن النور كما قال الأنجيل أحب الناس الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة .

✣الانسحاب من النور :

فالنور فى طبيعته سخاء مطلق حين يشرق ، ولكن ماذا إذا خرج الانسان بإرادته من دائرة النور ، ألا يصير فى الظلام ؟

وحتى وإن صار الحال هكذا ، وصاروا كعمى وقت أعمت الظلمة عيونهم فهل من رجاء ؟

نعم يوجد رجاء فى ذاك الذى فتح أعين العميان ، وجعل

العمى يبصرون والخرس يتكلمون وأشرق فطرد الظلمة ، لأن الظلمة لا تستطيع أن تقف أو تثبت بل تهرب ولا تدركه .

على أننا نفهم مرادفات النور من أقوال الانجيل ، فالنور الحقيقى هو نور الحياة الأبدية ، والنور هو المحبة ، من يسلك فى المحبة يثبت فى النور ومن يبغض أخاه يبقى فى الظلمة ولا يعرف أين يمضى لأن الظلمة أعمت عينيه ، والنور هو الحق الالهى كل من يعرف الحق يحيا فى النور بينما العدو هو الكذاب وأبو الكذاب فإنه روح الظلمة والظلام .

١١- نزأر كلنا كدبة وكحمام هدراً نهدر . ننتظر عدلاً وليس هو وخلاصاً فيبتعد عنا .

١٢- لأن معاصينا كثرت أمامك وخطايانا تشهد علينا لأن معاصينا معنا وآثامنا نعرفها .

١٣- تعدينا وكذبنا على الرب وحدنا من وراء إلهنا . تكلمنا بالظلم والمعصية حبلنا ولهجنا من القلب بكلام الكذب .

١٤- وقد ارتد الحق إلى الوراء والعدل يقف بعيداً . لأن الصدق سقط فى الشارع والاستقامة لا تستطيع الدخول .

١٥- وصار الصدق معدومًا والحائد عن الشر يُسلب .
فرأى الرب وساء فى عينيه أنه ليس عدل .

✥ التوبة عن الآخرين .

يأتى صوت الاعتراف بالخطايا وأنات التوبة دائمًا من. الأبرار ، يحملون خطايا الآخرين ويتراءون أمام الله يشفعون عن بنى جنسهم ...

هذا صوت اشعياء النبى يتكلم بلسان الشعب معترفاً بالخطايا متوجعاً هو والبقية التى يبقيها الرب لنفسه والتى تكلم عنها قائلاً : لولا أن رب الجنود أبقى لنا بقية لصرنا مثل سدوم وشابهنا عمورة .

يقول لأن معاصينا كثرت وخطايانا تشهد علينا ... هنا يصل الأبرار إلى السبب الرئيسى للكوارث والسر المخفى وراء كل المصائب وحين يدركون الداء يعرفون الطريق إلى البرء والشفاء .

العيب فينا أننا نخفى عيوبنا ونتغافل عن الذنوب والخطايا بل نعلل أنفسنا بالعلل فى محاولة لتبرئة أنفسنا .

✣ الاعتراف .

لا يوجد طريق للخلاص ما لم نعترف بخطايانا ونقر بآثامنا أمام الله ، وننطرح عند قدمى صليبه ، لأنه إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل ، يغفر الذنب ويصفح عن المعصية .

✣ شفاء فى كل جيل .

لو تأملنا كيف حمل الأبرار فى كل جيل نير الاعتراف بخطايا شعبهم مثل نحميا ودانيال وموسى رئيس الأنبياء وها اشعياء النبى صارخًا بهدير الحمام وكدبه ثكلى تزأر زئير التوجع وصراخ الألم ...

لو تأملنا هذا لانصلحت لنا الأحوال ، لأن حاجة العالم اليوم إلى أمثال هؤلاء ، لا سيما فى أزمنة التسيب والفجور وقد ضرب الشيطان ضرباته القاضية ليغرق العالم فى العطب والهلاك ... نعم حاجتنا الماسة اليوم إلى شفعاء يقفون أمام الله بالاعتراف ، بالصوم والبكاء ، بالاتضاع ، ودموع المسكنة لعل الله يرفع غضبه عن العالم لأن كأس غضب الله قاربت على الامتلاء .

✣ ونحن فى هذا الجيل ...

مطلوب من يفدى إخوته بنفسه ، ومن يقف ليصد

الغضب الآتى ، مطلوب نفوس مقدسة تصرخ إلى الله نهاراً وليلاً تقول أخطأنا أمامك وآثامنا تشهد علينا .

مطلوب لكل بيت من يشفع ويطلب مراحم ، مطلوب لكل كنيسة بل مطلوب من يشفع فى العالم ويقدم توبة ترضى قلب الله وتحدر تحنن إلهنا .

ليبكِ الكهنة خدام المذبح ويقولوا اشفق يارب ...

ليصرخ الذين كرسوا نفوسهم للصلاة وليتراءوا أمام الله منطرحين فى اتضاع الاعتراف بالخطايا ... والتذلل لعله يرحم .

معاصينا كثرت أمامك ... أخطأتُ فى السماء وقدامك ...

الخطايا صارت فاصلاً .

التوبة ترفع الحاجز ... الاعتراف يزيلها لأن الله يرفعها .

خطايانا تشهد علينا ... وآثامنا معنا .

أى أننا نستحق الدينونة والعقاب لأن أجرة الخطية هى موت ، ولكننا نلجأ إلى مراحم الرب لأنها كثيرة ونترجى خلاص ذاك الذى يبرر الفاجر ويفدى وينقذ ويقيم من الموت .

تعدينا ... كذبنا على الرب ... حدنا من وراء الهنا .

من النافع جداً أن تسرد الخطايا بأنواعها وتفاصيلها حين نعترف أمام الرب ، كما تذكر تفاصيل الأمراض أمام الطبيب ويعترف بالأوجاع والعيوب ... هذا هو تدبير الشفاء من يكتم خطاياه لا ينجح ومن يقر ويعترف بها يرحم .

✣ كشف الخطايا .

قد يبدو الأمر مخجلاً جداً حين يسرد الانسان خطاياه ويفضح آثامه لا سيما إذا كان أمام كاهن الله ووكيل سرائره . لكن ألم يقف داود النبى مكشوفًا أمام ناثان النبى ؟

كشف الخطايا يعنى تسليط النور الالهى على ما اقترفناه فى الظلام ، حينئذ تهرب الظلمة وينكشف الفخ الذى حبكه الشيطان لصيد النفوس ، فنصرخ الفخ انكسر ونحن نجونا .

جيد للانسان أن ينفضح هنا وينكشف أمام الله وهو على الأرض أفضل من أن ينكشف أمام الملائكة والقديسين

فى السماء لأن ليس خفى إلا وسيظهر ولا مكتوم إلا ويستعلن .

المتضعون يعترفون بخطاياهم منطرحين أمام الرب فيقيمهم ، أما ما يمنع الانسان من الاعتراف فهو الكبرياء والاعتداد بالذات وتبرير الذات والشفقة عليها وطلب المجد الخارجى وهذه كلها أمراض قاتلة للنفس .

حبلنا ولهجنا من القلب بكلام الكذب .

صارت الخطية تنبع من الداخل ، أفرخت وأنتجت وأصبحنا نلد الإثم من داخل القلب ، كما قال الرب « من القلب تخرج الأفكار الشريرة ، الزنى ، السرقة ، القتل ... الخ » الانسان الشرير من كنز قلبه الشرير يخرج الشرور .

صار الداخل ملوثاً ... كقبر مملوء من النتانة .

هنا الاعتراف الحقيقى وفحص القلب بإخلاص وتقييم الأمر وفحص الضمير فى نور حضرة الله ، والاعتراف أمام الرب أن الخطية ضربت جذورها فى القلب ، لم تعد سطحية ظاهرية ولم يعد أثرها خارجياً ... بل قد بلغ الموت إلى النفس ... فهل من خلاص ؟

كلام الكذب صار ينبع من القلب !! يا للحسرة لقد صار القلب مسكناً للكذاب ... روح الظلمة .

ترى من يستطيع أن يقوى عليه ويطرده من القلب سوى الذى هو أقوى منه الذى ينزع سلاحه المتكل عليه ..

ليس من يستطيع أن يفدى سوى يسوع الذى ليس بأحد غيره الخلاص .

وقد ارتد الحق إلى الوراء العدل يقف بعيداً . لأن الصدق سقط فى الشارع والاستقامة لا تستطيع الدخول .

هذا وصف مبدع لتغلغل سلطان الخطية سواء كان فى الشعب أو فى النفس ، فى الجماعة أو فى الفرد .

وهى حالة انحسار الروح وطغيان الجسد والعالم والشيطان !!

الحق والعدل والصدق والاستقامة صاروا مغلوبين أمام تيار الخطايا والنجاسة والكذب وكل أمر قبيح .

قيل عن الصديق لوط أنه كان يعذب نفسه البارة مغلوباً من سيرة الأشرار .

فحين تطغى الشرور ويتجبر الفجور ... تنزوى

الفضيلة ، وحين يأخذ الجسد الساقط زمام القيادة ... فأين مكان الروح ؟

لذلك قيل « لا تطفئوا الروح » ، « لا تحزنوا الروح » .

وصار الصدق معدوماً ، الحائد عن الشر يسلب .

قد تكثر الخطايا وتزداد الشرور ، وتنقص الفضيلة فى زمن من الأزمنة أو فى وسط جماعة من الجماعات ...

أما أن يقال أن الصدق صار معدوماً فماذا بعد ؟

أن يبقى ولو عشرة أبرار فى مدينة فهذا يحفظها من الغضب ، أما أن يقال إن الصدق صار معدوماً فهذا نذير شديد بحلول الغضب ومن يستطيع أن يقف فى وجه الغضب ؟

كلما عزت الفضيلة ونقص الأبرار الأتقياء من العالم ... كلما اقترب الأمر من النهاية الحتمية ... تأمل سدوم وعمورة ... تأمل طوفان الغضب ونهاية الخطاة فى أيام نوح ... شئ مرعب ومخيف .

١٦- فرأى أنه ليس إنسان وتحير من أنه ليس شفيع . فخلصت ذراعه لنفسه وبره هو عضده .

١٧- فلبس البر كدرع وخوذة الخلاص على رأسه . ولبس ثياب الانتقام كلباس واكتسى بالغيرة كرداء .

١٨- حسب الأعمال هكذا يجازى مبغضيه سخطًا وأعداءه عقابًا . جزاء يجازى الجزائر .

١٩- فيخافون من المغرب اسم الرب ومن مشرق الشمس مجده . عندما يأتى العدو كنهر فنفخة الرب تدفعه .

٢٠- ويأتى الفادى إلى صهيون وإلى التائبين عن المعصية فى يعقوب يقول الرب .

٢١- أما أنا فهذا عهدى معهم قال الرب . روحى الذى عليك وكلامى الذى وضعته فى فمك لا يزول من فمك ولا من فم نسلك ولا من فم نسل نسلك قال الرب من الآن وإلى الأبد .

بلغ صراخ التوبة وتنهد الأبرار من أجل كثرة الخطايا ، بلغ إلى مسامع رب الجنود فأعلن خلاصه العجيب وتكلم فى قلب اشعياء بنطق الروح وسر الفداء فردد اشعياء كلمات الوحى التى تشيع الرجاء فى النفوس المنتظرة الخلاص .

لقد وصفت الآيات السابقة صورة محزنة لشناعة الخطايا والنجاسات التى تردى فيها شعب الله ، والظلام الدامس الذى لف دقائق الحياة حتى صاروا يتلمسون

كـالـعـمـى فى وضح النهـار ، ورسم الروح كـيف تغلـغلت الخطية فـملكت على الجـمـيع وسـيطرت على كل الأقـوال والأفـعال .

ولكن ما هو موقف إلهنا من كل هذا ؟

قال الروح ... فرأى الرب وساء فى عينيه .

إلـهنا طويل الروح وكـثير الرحـمة وطويل الأناة ... فـهو يرى ويسـمع ويكـتب سـفـر تـذكرة ... إلى أن يأتى ملء الزمان ...

فحينما يقال قد كمل الزمـان ... حينئذ تستعلن أعمال الله التى كانت فى فكره منذ الأزل ... فـقط انـتظر الرب وتوقع خلاصه .

سلطان الخطية وسطوتها ينازع سلطان النور والحياة ولكن الغلبة تكون دائماً للنور والنصرة للحياة .

« **من أجل شـقـاء المسـاكين وتـنهـد البـائسين الآن أقـوم يقول الـرب أصنع الخلاص عـلانية** » ... نعم يعـرف الرب أن يخلص الذين هم له .

فـإن زادت قـسـاوة فـرعـون وتجـبـره وتوالـت سنين السـخرة فى الطين واللبن وعـلا صـراخ المظلومين ... فإن

هناك ساعة للخلاص ويوماً للانتقام ووقتاً للذراع الرفيعة واليد القوية .

فرأى أنه ليس انسان وتحير من أنه ليس شفيع .

لقد عدم الشعب وجود الأتقياء والقديسين ، فلم يوجد من يقف أمام الله يطلب المراحم ويشفع فى الشعب ... بل قل إنه ليس من يقال عنه انسان ، لقد تشوهت الصورة ، وليس من يتوسط لدى الله أو يقف بين الله والناس ...

فإن قيل هكذا عن الشعب الذى اختاره الرب لنفسه . فكم وكم عن باقى البشرية الساقطة . لقد أغلق على الكل ... وصار الجميع تحت الحكم ... ليس من يفهم ... ليس من يعرف ... ليس من يفعل صلاحاً ...

منذ القديم وعينا الرب تتطلعان إلى عيّنة من البشر تكون مختارة لتمثل دور المخلص والشفيع ، وتكون رمزاً – على قدر ما تستطيع الطبيعة الساقطة أن تعبر – تكون رمزاً للرب والمخلص فادى نفوس عبيده .

وها قد رسم الروح بحياة كثيرين صوراً متعددة لعمل الخلاص مثل حياة موسى ويشوع وجدعون وداود ... وقد صنعوا خلاصاً زمنياً مؤقتاً كرمز وظل للخلاص العتيد .

فإذ لم يخلص الانسان ... لأنه لا يستطيع ، بل صار

عاجزاً كل العجز بل ميتًا بموت الخطايا والذنوب ... ، إذ راى الله ذلك وإذ لا يوجد انسان وأنه ليس من شفيع ، خلص هو بذراعه وقوة جبروته .

كما قيل فى القديم لموسى رأيت عياناً مذلة شعبى . سمعت أنينهم ، نزلت لأخلصهم .

حقاً انه ليس بأحد غيره الخلاص .

فإن خلاص الله ... خلاص أبدى ... خلّص نفسى من الموت وعينى من الدموع ورجلى من الزلل .

أو كما شهد نبوخذ نصر - كشاهد عيان - حين ألقى الفتية فى أتون النار فلم تمسسهم بأذى ولا رائحة النار شهد قائلاً ليس اله آخر يستطيع أن ينجى هكذا ...

فخلصت ذراعه لنفسه وبره هو عضده .

يمين الرب معتزة بالقوة .

يمين الرب حطمت العدو .

من مثلك فى الآلهة يارب من مثلك .

استيقظى البسى قوة يا ذراع الرب ... أليست أنت منشفة البحر .

أخرج شعبه من كور الحديد بذراع قوية ويد ممدودة .

حين يقال شمر الرب عن ذراع قدسه ، فهذا معناه قيام الرب للخلاص واستعلان ذراع الرب لينظرها كل بشر .

الحياة أظهرت ... الكلمة صار جسداً .

الحياة الأبدية التى كانت مخفية ... أظهرت لنا ، ورأينا مجده ، رأيناه بعيوننا ... شاهدناه ولمسته أيدينا .

هذا هو استعلان ذراع الرب وقوة خلاصه .

وبره هو الذى غطى خزى خطايا البشر .

وببره برر الكثيرين .

بخطية واحد جعل الكثيرين خطاة .

وببر الواحد جعل الكثيرين أبراراً .

تأمل كلمات الروح القدس الناطق فى الأنبياء وهو يصف المخلص والرب كيف نزل ليتمم الخلاص . المقتدر بأوصاف غاية فى المهابة والاقتدار والقوة والجبروت ... كملك منتصر فى الحرب حين نزل يقهر الموت ... أين شوكتك يا موت ؟

فلبس البر كدرع ... وخوذة الخلاص على رأسه .

يلذ للنفس أن تتأمل إلهها ومخلصها فى جلد قوته

وبهاء عظمته ... كيف ينقذها من سلطان الموت ويقهر جبروته .

وهل يحتاج إلى درع ؟

أن العدو الخبيث صوب سهامه نحو ربنا إذ رآه صائماً على جبل التجربة وفى مناسبات أخرى كثيرة كان يدخل فى الكتبة والفريسين ورؤساء الكهنة يصادرونه على كل كلمة ويجربونه بتجارب متنوعة .

ولكن درع البر الذى لربنا صد كل سهام العدو الشريرة الملتهبة ناراً ، ورجعت سهامه خائبة مرتدة نحوه .

قال لهم ... من منكم يبكتنى على خطية .

وقال أيضاً « رئيس هذا العالم آت وليس له فىّ شئ » .

بل قام ناقضاً أوجاع الموت إذ لم يكن ممكناً أن يمسك منه لأنه مكتوب « لم تدع قدوسك يرى فساداً » .

فبر المسيح المخلص - إذ هو قدوس القديسين - الوحيد الذى بلا خطية ولم يوجد فى فمه غش ، الذى ليس عنده تغيير ولا شبه ظل دوران ، صار بره هو عضده وصار بره كدرع الخلاص .

وخوذة الخلاص على رأسه .

لقد تكللت هامة مخلصنا باكليل الشوك فرآها النبى برؤيا الروح أنها خوذة الخلاص على رأسه

شوكة الموت داسها بموته .

وجراحاته التى قبلها فى جسده خلصت الذين طرحتهم الخطية جرحى للموت ، فإكليل شوكه هو خوذة الخلاص .

اشتهى القديسون أن يتوجوا به حين حملوا نير المسيح عليهم . نعم بجراحاته شفينا .

اكليل الشوك ينقذ عقولنا من طياشة الفكر .

اكليل الشوك يبرئ العقل من أفكار النجاسة .

اكليل الشوك يثبت الفكر فى السماويات .

اكليل الشوك يحصن الأعضاء ويميت الشهوات .

اكليل الشوك يصلب العالم لى وأنا للعالم .

ولبس ثياب الانتقام كلباس واكتسى بالغيرة كرداء .

لبس جسدنا ليدين الخطية فيه .

لبس طبع البشر لكى يغلب به ويظفر بالعدو الذى أهان صورة الله .

غيرة رب الجنود صنعت الخلاص .

ثيابه هذه (أى جسدنا) داس بها المعصرة وحده فصارت ثيابه حمراء من جرى الدم الذى عليها .

حسب الأعمال هكذا يجازى مبغضيه سخطًا .

صار التجسد رعباً للشياطين ، ودحراً للخطايا .

هربت الظلمة وقواتها لما رآته ، الشياطين كانت تصرخ وتقول لماذا أتيت قبل الوقت لتعذبنا ...

حسب الأعمال الرهيبة التى عملها الشيطان فى إفساد هيكل البشرية وإهلاك النفوس والأجساد وتدمير النفس والجسد والروح ... هكذا جازاه المخلص ، إذ سحق الشيطان وشهد قائلاً رأيت الشيطان ساقطاً من السماء مثل البرق .

وأخيراً على الصليب قتل الموت بالموت .

إذ محا الصك الذى كان علينا ، الذى كان ضداً لنا ، إذ جرد الرئاسات وأشهرهم جهاراً ظافراً بهم ... لقد خرج غالباً ولكى يغلب . فأى شكر نستطيع أن نتقدم به إليه ؟

فيخافون من المغرب اسم الرب ومن مشرق الشمس مجده .

اسم الرب يسوع المخلص ، استعلن بالتجسد ، كما تسمى من الملاك قبل أن حبل به فى البطن البتولى .

وكما يقول الرسول ليس اسم آخر تحت السماء أعطى للناس به نستطيع أن نخلص إلا اسم يسوع . وبهذا الاسم قال الرب « **كل ما تطلبون من الآب باسمى يعطيكم** » ، بل قال أيضًا تكونون مبغضين من الجميع لأجل اسمى . والرسل الأطهار كرزوا بهذا الاسم المبارك للخلاص والحياة وشفوا المرضى باسم يسوع ، وأقاموا الموتى وأخرجوا الشياطين باسمه ... فصار الاسم مباركاً ممجداً من مشارق الشمس إلى مغاربها ، وصار مخوفًا لدى المقاومين والرافضين فى آن واحد .

ويأتى الفادى إلى صهيون وإلى التائبين عن المعصية فى يعقوب يقول الرب .

هذا استعلان ما بعده استعلان ووضوح للرؤيا كأنها رؤى العين من نحو مجئ المسيح إلى العالم كفادى ومخلص يفدى بدمه ويخلص الخطاة من حمأة الموت .

وهو يأتى إلى صهيون ... يجددها بعهد جديد ، فتصبح بمجيئه أورشليم الجديدة ، ملكوت الله سماء جديدة هيكل جديد .

ويأتى إلى التائبين ، فإن كانت نبرة التوبة فى الأعدادالسابقة قد استمطرت مراحم الله فأعلن خلاصه ، فما أكرم التوبة وما أكثر أجرتها لدى الله ، فجميع المنتظرين فداء فى اسرائيل هم الذين أدركوا مجيئه وتمتعوا بالنعمة التى استعلنت فى المسيح يسوع .

مثل حنه النبية وسمعان الشيخ رزكريا واليصابات والرعاة البسطاء والمجوس الحكماء .



أما أنا فهذا عهدى معهم قال الرب . روحى الذى عليك وكلامى الذى وضعته فى فمك لا يزول من فمك ولا من فم نسلك . ولا من فم نسل نسلك قال الرب من الآن وإلى الأبد .

هذا عهد أبدى ، وهو عهد جديد ، العهد الجديد بدم المسيح لا كالعهد الأول الذى كان فى الناموس والفرائض ، بل قال « **أجعل نواميسى فى أذهانهم رأكتبها على قلوبهم** » فالكلمة التى كتبت على حجر فى القديم ... تكتب على ألواح قلب لحمى فى العهد الجديد لأن الرب يسوع مخلصنا خلق للانسان قلباً جديداً وروحاً جديداً ... « إن كان أحد فى المسيح يسوع فهو خليقة جديدة الأشياء القديمة قد مضت هوذا الكل قد صار جديداً » .

وقوام العهد الجديد هو الروح القدس والكلمة ، لذلك قال « **روحى الذى عليك وكلامى جعلته فى فمك** » .

فالروح حل على المسيح بهيئة جسمية لحسابنا ، فنحن بالمسيح وفى المسيح قبلنا نعمة البنوة وتجديد الروح القدس ، والكلمة – أى كلمة المسيح – التى تحمل لنا حياة المسيح ، « **الكلام الذى أكلمكم به هو روح وحياة** » جعلها الرب ميراث أبدى للمفديين .

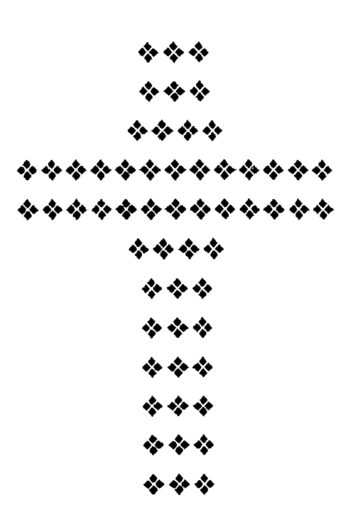
هذا هو العهد الذى تكلم عنه الآب من جهة البشرية الجديدة فى المسيح .

فهو يقول عن الروح « روحى » وعن الكلمة « **كلامى** » الذين يشهدون فى السماء « **الآب والكلمة والروح** » كما يقول القديس يوحنا الحبيب ... هذا هو مصدر حياة المخلصين الذين نالوا الميراث والمواعيد من الآب فى الابن بالروح القدس .

وهذا العهد هو عهد أبدى من الآن ويمتد إلى الأبد ، وكلمة « الآن » كررها ربنا كثيراً ... الآن دينونة هذا العالم ... الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجًا ... تأتى ساعة وهى الآن حين يسمع فيها الأموات صوت ابن الله والذين يسمعون يحييون .

فمنذ أن أعلن المسيح ملكوته وخلاصه وهو لم يزل يمتد وينمو ويعتز ويكثر إلى أبد الأبدين وإلى دهر الدهور .





يطلب من مكتبة كنيسة مارجرجس باسبورتنج

☎ ٥٩٦٩٨٨٨

المراسلات ص.ب ، ١٧ الابراهيمية - الاسكندرية